الهيئة العامة لقصور الثقافة

آفاق عالمية

22

سر بين اثنين

مختارات من القصة القصيرة العالمية

ترجمة

محمد رجب

آفاق عالمية
ابريل ٢٠٠٣
٢٢

الهيئـــة العامة
لقصور الثقافة

سر بين اثنين

(مختارات من القصة القصيرة العالمية)

ترجمة : محمد رجب

الهيئة العامة لقصور الثقافة

آفاق عالمية

سر بين اثنين

(مختارات من القصة القصيرة العالمية)

ترجمة : محمد رجب

- تصميم الغلاف : محمد بغدادى
- لوحة الغلاف للفنان : أوتو موللر (١٨٧٤ - ١٩٣٠)
- المراجعة اللغوية : محمد موسى

- الطبعة الأولى : ٢٠٠٣

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٨٨٩٥

الترقيم الدولى :

I.S.B.N: 977 - 305 - 455 - 1

- الطباعة والتنفيذ :

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية قطعة ١٣٩

شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

ت : ٨٣٣٨٢٤ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤

e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

آفاق عالمية : سلسلة شهرية تعنى بنشر ترجمات مختارة

رئيس مجلس الإدارة
أنس الفقي

أمين عام النشر
محمد السيد عيد

المشرف العام
فكري النقاش

الإشراف الفني
غريب ندا

رئيس التحرير
طلعت الشايب

مدير التحرير التنفيذي
تغريد كامل إمام

المراسلات : باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
١٦ أ ش أمين سامي - القصر العيني - رقم بريدي : ١١٥٦١

ناس حسنو النوايا !

قصة : بن بوفا

قال « ترجسون » مندوب الأمم المتحدة وهما يدخلان إلى القاعدة القمرية ، تاركين المجال الفضائى للأرض :

- إن هذه القاعدة هائلة الحجم ، حسنة التجهيز ! لم يكن لدىّ فكرة عن ذلك !

أجابه العقيد « باتون » وهو يبتسم بلا مبالاة ، بينما تعكس نظرته خلف قناعه الواقى رضاءه البالغ :

- على رسلك ، إنها عملية عظيمة !

كان الضغط فوق القمر متوازنا ؛ لذا تمنّى كلاهما لو خلع البذلة الواقية المكسوة بالألومنيوم التى يرتديها . كان باتون بديناً وفارع الطول ؛ ذلك الطول الذى يناسب رجال الفضاء ، بينما كان ترجسون نحيل الجسم ، يبدو لطيف المنظر ، ويرتدى نظارة سارا فى الرواق المفضى إلى مبنى القيادة العامة للقاعدة . كان المبنى على هيئة قبة من البلاستيك . تساءل ترجسون بلغة إنجليزية تشوبها لكنة أهل اسكندناوة مما ضايق باتون .

- ماذا خلف الأبواب ؟!

أجاب العقيد فى لهجة رسمية :

- إلى اليمن توجد مساكن الضباط ، والمطبخ ، وقاعة الطعام ، والمعامل الكثيرة ، والمكاتب ، أما إلى اليسار فتوجد العقول الإلكترونية .

اختلس ترجسون نظرة ، وقال :

- أتعنى أن العقول الإلكترونية تشغل نصف هذا المبنى ! لكن كيف فى عالمنا ؟

أقصد لماذا تحتاجون إلى كل هذا العدد من العقول الإلكترونية ؟ ألا يفزعك أن تكاليفها باهظة ، لمجرد أن تتفاخروا بوجودها هنا ؟ إننى أعلم كم تكلّفت رحلتى وحدها من آلاف الدولارات !

إذن يجب أن تكون العقول الإلكترونية . . .

قاطعه پاتون :

- إن تكاليفها مروّعة دون شك ، لكننا نحتاجها ، صدّقنى إننا فى حاجة ماسة إليها .

قطعا ماتبقّى من الطريق أسفل الممر - إلى حيث يوجد مكتب پاتون فى النهاية - صامتين .

فتح العقيد پاتون باب مكتبه ، وأومأ إلى ترجسون بالدخول . .

قال ترجسون :

- مكتب ضخم ، ونافذة !

أطلق پاتون ضحكة ، وأجاب :

- إن ذلك إحدى مزايا رتبتى ، هل ترى ذلك الهوائى على امتداد الأفق ؟ إنه خاص بالقاعدة الروسية !

- آه ، نعم ، إننى بالطبع سأزورهم فى الغد . .

أومأ إليه پاتون ليجلس ، بينما كان يتخذ مجلسه خلف مكتبه المصنوع من المعدن ، وهو يقول :

- وبعد ؟ إنك أول رجل سمحوا له بالمجىء إلى هذه القاعدة ! اسمح لى ياسيدى بأن أقول ذلك ، إنك رجل غامض ! صحيح أنه قد تم فحصك ثلاث مرات ، وأنك مواطن وموظف أمريكى ، لكنَّ الله وجده يعمل كيف استطعت إقناع البنتاجون ليسمحوا برحلتك إلى هنا ! لكن ، لا بأس فإنك الآن هنا ، فماذا تريد ؟!

نزع ترجسون نظارته ، وقال وهو يحرّكها فى قلق بين أصابعه :

- أعتقد أن أبسط الإجابات هو أفضلها ؛ إن هيئة الأمم تريد أن تعرف كيف وعلى أى نحو تستطيعون أن تعيشوا مع الروس هنا فى سلام ؟! على القمر ؟!

فغر پاتون فاه ، لكن لم تصدر منه كلمة !

استرسل ترجسون قائلاً :

- لقد تبادل الأمريكيون والروس إطلاق النار عبر السفن الفضائية ، وفى شطرى بولندا ، كما أن الدبلوماسيين أنفسهم قد تبادلوا الاتهامات داخل مبنى هيئة الأمم . .

- لكن ، لم أكن أعلم شيئا عن ذلك !

- أوه ، لقد أبقينا على الأمر سرًّا بالطبع ، لكن المشاجرات

لا تحتمل ؛ إن على الأرض طرفين مسلحين حتى الأسنان ، والعالم على حافة كارثة محققة . إنهما يتقاتلان فى الفضاء ، لكنكم والروس تعيشون هنا على القمر جنباً إلى جنب ؛ يجب أن نعرف كيف يحدث هذا ؟!

ابتسم باتون وهو يقول :

- لقد حضرت فى أنسب يوم . إذن دعنا نرى كيف نُقرِّبُ الصورة ، أنت تعرف أن البيئة هنا بيئة عدوانية ، فهى بلا هواء أو جاذبية ؛ فالأرض صلبة ، والمبانى فسيحة ، أضف إلى ذلك المميزات الكثيرة التى تفتقر إليها سفن الفضاء . إن الحرب مستمرة على سفن الفضاء ، ولا حرب هنا فوق القمر !

من فضلك لا تضّيع وقتى بالتفاهات ، إنّ رحلتى تكلّف الهيئة الكثير ، فأخبرنى بالحقيقة . !

أومأ باتون برأسه موافقًا وهو يقول :

- كنت فى الطريق إلى ذلك ، لقد فحصت كل المعلومات التى أرسلتها عنك محطة الفضاء فى الأرض ، لقد فحصوك فى البيت الأبيض ، وفى لجنة الطاقة الذرية ، ووكالة ناسا لأبحاث الفضاء ، وحتى فى داخل البنتاجون . .

- ثم ؟

- لابأس . . . إن حقيقة الأمر هى أن . . .

دق جرس الساعة على مكتب باتون فجأة ، فقال باتون :

- أوه ، معذرة . .

راقب ترجسون پاتون وهو يزيح ماعلى مكتبه من أشياء ؛ الساعة والتقويم ، والتليفون ، وعلبة التبغ ، والغليون ، والأوراق ، والتقارير . أودعها پاتون درج مكتبه وأغلقه بإحكام . .

نهض پاتون ، وسار إلى الخزانة وأغلق أدراجها بحزم ، ثم وقف فى وسط الحجرة يردد النظر فى رضا ظاهر ، ثم ألقى نظرة على ساعة معصمه وقال :

- حسنا ، انبطح أرضا على بطنك !

وقال وهو ينبطح فوق الأرض المكسوة بالمطّاط :

- هكذا !

حدّق ترجسون فى ذهول !!

استحّثه پاتون صائحا :

- أسرع ! بقيت ثوان معدودة !

نهض ؛ جذب ترجسون من معصمه ، فتهاوى ترجسون من مقعده وانبطح أرضا إلى جوار پاتون . تبادلا النظرات فى صمت وترجسون لا يصدّق عينيه . .

- ياسيدى العقيد ، إننى !

فجأة دوى انفجار عنيف ؛ إنهال وابل من القذائف ، كانت الطلقات بعض الأحيان تندفع إلى الجدران فيهتز الهواء ويُصَفِّر

فوق رأسيهما ، بينما اهتز المكتب والخزانة بعنف . .

أغلق ترجسون عينه ، حاول أن يزحف كالدودة . كان يشعر أن النار تطلق عليه وحده ، وانتهى الأمر فجأة وعادت الحجرة إلى الهدوء مرة أخرى ، فيما عدا هزة ضعيفة - فتح ترجسون عينيه ، ورأى العقيد ينهض .

انفتح الباب بعنف ، واندفع إلى الحجرة ثلاثة من الجنود يحملون الأسمنت والبكرات اللاصقة ، دار الثلاثة حول الحجرة يسدون مئات الشقوق التى ملأت الجدران .

وبينما الجنود مستغرقون فى عملهم أدرك ترجسون أن الحجرة كانت تتعرض باستمرار لوابل من الطلقات ؛ نهض فى بطء شديد وساقاه لاتكادان تحملانه . تساءل بصوت متهدّج :

- أهى النيازك ؟

كان باتون يقبع فى صمت على مقعده خلف المكتب الذى أصابته إحدى الطلقات ، كما حدث للخزانة . .

قال باتون :

- لا تخشَ شيئا ! تستطيع أن تتجوّل الآن كما يحلو لك ، فالنافذة لا تؤثر فيها الطلقات !

هز ترجسون رأسه فى صمت ، وجلس . .

عاود العقيد حديثه قائلاً :

- هاقد رأيت أن الحياة هنا ليست سلاماً كما كنت تظن !

أوه ، لقد كنا على وفاق مع الروس ، لكننا تعلّمنا أن نضطر إلى العيش معهم فى سلام . نحن مضطرون إلى ذلك . .

- ماذ كان ذلك ؟

- طلقات !

- طلقات ؟! لكن كيف ؟

أنهى الجنود عملهم الدءوب ، فانطلقوا إلى الباب بعد أن حيّوا العقيد پاتون .

رد العقيد التحية ، فغادروا الحجرة فى صف واحد مغلقين الباب خلفهم فى هدوء . .

- إننى مذهول ياعزيزى العقيد!

- الأمر يسير لكى تفهمه ، لكن لا تسرف فى الاندهاش ! إن القادة فى البنتاجون يعرفون هذا ، كما يعرفه الرئيس بالطبع !

- ماذا حدث ؟

حشا العقيد پاتون غليونه بالتبغ ، ثم قال :

- أنت ترى أننا والروس لا نعيش فى سلام هنا على القمر ، إنّ لنا قتالنا وشجارنا تماما كما على كوكب الأرض . .

- استمر .

- حسنا . . .

وأشعل عود الثقاب ، ثم راح ينفث دخان الغليون فى لذة وهو يقول :

– بعد مدة يسيرة من بناء قاعدتنا ، وبعد الانتهاء من بناء قاعدة الروس بدأت المناوشات وأطفا عود الثقاب ، وألقاه فى درج مكتبه ، ثم تابع .

– إننا هنا فى الفضاء وعلى تلك الصخرة الجرداء عديمة الهواء المسماة بالقمر ! حسن ؛ إن الروس يدعون ملكية هذا الفضاء لأنهم سبقونا فى الوصول إليه ، لكننا سقنا إليهم الأدلة على عدم شرعية الملكية ؛ لأنها لم تتم وفق مواثيق هيئة الأمم . . .

– دعنا من التفاصيل المملّة . أخبرنى من فضلك ماذا حدث ؟

فى ألم نظر إليه باتون ! قال :

– على رسلك ، لقد بدأنا نتراشق بالطلقات ، أطلق أحد حراسهم النار على أحد حراسنا ، وادّعوا طبعا أن حارسهم كان يقوم بالحراسة ، وأنه لم يذنب ! على أية حال فإننا التحمنا معهم بعد عشرين دقيقة فى معركة ضارية ، ونشب القتال بين القاعدتين !

أشار ترجسون إلى النافذة وتساءل :

– هل يمكنكم التراشق بالطلقات خلال الفضاء الخارجى ؟

– أوه ، بالطبع ، ومع هذا حدث شىء لم نتوقعه !

– ماذا ؟

– أصيب القليل من الرجال ؛ لم تكن إصابتهم خطرة ؛ لأنه تطيش الكثير من الطلقات .

– ثم ؟

بابتسامة حزينة أجاب پاتون :

– واشتغل العلماء بالبحث ، وظهرت فى الجو عدة آلاف من الطلقات تتجه بسرعة الضوء . لا توجد مشكلة فى الفضاء الخارجى ، ورغم عدم وجود جاذبية من أى نوع فإن الطلقات تتجه رأسا إلى هدفها ! بدأت أمارات الفهم على وجه ترجسون :

– أوه ، لا !

– هذا صحيح ، فالطلقات تتجه مباشرة إلى هدفها ، وتنزلق بخفة من قمم الجبال البركانية للقمر ! آه ، لقد أحسنوا استثمار الأفق المحنى للقمر ، وصمموا بنجاح محطتهم دائرية الشكل ! وبين الحين والحين يصلون إلى أقرب نقطة تفصل بيننا ؛ أعنى منطقة الخطر ، وكل سبعة وعشرين يوماً يتجدّد الخطر حين يدور القمر على محوره ، حينئذ يلهبون محطتنا بالطلقات !

– لكن ، ألا تستطيعون ؟

– ماذا نفعل ؟ إننا لا نستطيع تصفية القاعدة هنا ؛ فوجدوها مشروط بموافقة الرئيس ، وهم لا يستطيعون ذلك أيضا . إن أقصى ما نستطيع فعله هو أن نحشد أكبر عدد من العقول الإلكترونية لتتعقب الطلقات وتحدّد مصدرها ؛ المشكلة أن الطلقات تغيرّ اتجاهها باستمرار ؛ تخترق الفضاء ، وتتلف

الجدران ، وترتد إلى قطع الأثاث .. وهذا التغير الدائم يرهق عقولنا الإلكترونية طول الوقت . .

- يا إلهى !

- ولا نستطيع الرد على إطلاق النار ؛ لأن ذلك يشلّ عقولنا الإلكترونية ، وعلينا أن نقضى اليوم السابع والعشرين ونحن نبطح على وجوهنا عدة ساعات ! ألم أخبرك أنك قد حضرت فى اليوم المناسب . .

رن الجرس ضعيفا من داخل درج المكتب فاندفع ترجسون قائما يصرخ :

- من الأفضل أن ننبطح مرة ثانية على وجوهنا ؛ فقد بدأوا الضرب من جديد !

* * *

الزهرة

قصة : چون شتاينبك

انعزل « وادى سالیناس » عن السماء ، وكل الدنيا حينما علا الضباب وتكاثف بشدة مثل الصوف الرمادى . فى كل الأرجاء استقر الضباب كالغطاء المحكم ليحيل الوادى الكبير إلى قدر مغلقة على الأرض المنبسطة ، ثمّة حراثة قد فرغت لتوها من الحرث ، فبدا داخل الأرض المحروثة فى لمعان المعدن : بدأت الحقول المترعة بالقمح الذهبى - على سفوح الجبال التى تعترض مجرى نهر ساليناس - كأنما تستحم فى الشعاع الشاحب لشمس ديسمبر . توهجت قمم الأشجار : أشجار الصفصاف الكثيفة على امتداد النهر بالأوراق الصفراء الفاقع لونها .

كان الوقت وقت هدوء وترقب : فالهواء ناعم ، والريح خفيفة النسمات تهب من الجنوب الغربى فتحيى الأمل فى صدور الفلاحين بقرب هطول المطر بوفرة ... لكن هيهات أن يجتمع الضباب والمطر ..

عبر النهر ، وعلى تل هنرى لم يبق عمل كثير : فقد أودع الدريس فى المخازن ، وحرثت البساتين توقعاً للأمطار ، وبدت قطعان الماشية فوق المنحدرات مكتنزة الصوف والشحم .

رددت «إليزا آلان » النظر عبر الساحة ولمحت زوجها هنرى يحادث رجلين فى زى العمل ، وقف الثلاثة إلى جوار الحظيرة يدخنون الحراثة وهم يدخنون ويتبادلون الحديث ..

كانت «إليزا» تعمل فى حديقة أزهارها : إنها فى الخامسة

والثلاثين ، ذات وجه قوى ونحيل وعينين فى صفاء الماء . . كان منظرها غريبا وهى فى زى العمل ؛ إذ انحدرت قبعتها السوداء من الطراز الرجولى فوق عينيها ، وارتدت حذاءين ثقيلين . فوق ردائها مريلة واسعة بأربعة جيوب كبيرة تتسع للمقص والبذور والسكين . فى يديها قفازان من الجلد السميك . .

راحت «الزا» تقطع سيقان زهرة (الكريزانتوم) ذات العام الواحد بمقص قوى قصير . كان على وجهها المليح أمارات القوة والتحفز .

إن ضرباتها من القوة حتى لتتهاوى السيقان فى يسر بالغ - أزاحت «إلزا» عن عينيها خصلة تدلت فتلطخ وجهها بالطين . خلف ظهر البيت إلى الخلف أبيض أنيقا يحوطه نبات (الجيرانيوم) الذى ارتفع ليصل إلى أعلى النوافذ ؛ بيت لطيف تلمع نوافذه بالطلاء الحديث . على عتبة البيت وضعت حصيرة نظيفة . . عادت «إلزا» النظر إلى الحظيرة . انتهى الرجال من الصفقة . عندئذ خلعت أحد القفازين وبعثرت الأوراق ، وتفحصت السيقان . .

أوه ، لا حشرات ولا يرقات ولا ديدان ولا لطع ؛ فقد قضت أصابعها الخبيرة عليها قبل أن تفتك بالأزهار !

دنا زوجها فى هدوء واستند على حاجز الأسلاك الذى أفلح

فى رفع الماشية والكلاب والدواجن بعيدا عن المزرعة . قال هنرى :

- لقد أصبح لديك محصول قوى من جديد . .

نهضت ، استقام عودها ، قالت وهى ترتدى القفاز :

- أجل ، ستصبح زهورى صلبة للعام الجديد . .

اكتسى وجه «إلزا» وصوتها بالاعتداد والفخر . .

- إن لك حقا موهبة . . لقد كان سمك الزهرة فى العام الماضى عشر بوصات . .

آه لو تركزين على التفاح ليكون بنفس الحجم !

لمعت عيناها وقالت :

- ربما أفعل ، فإننى موهوبة فى كل شىء . كانت أمى موهوبة كذلك ، وعندما كانت تغرس أى شىء كان يسرع بالنمو ؛ كانت خبيرة بالزرعة .

- حسنا ، إن لك موهبة واضحة فى الأزهار .

- خبرنى ، من يكون الرجلان ؟

- أوه ، لقد جئت لأخبرك بأمرهما ، إنهما من شركةٍ للحوم الغربية ولقد بعتهما ثلاثين عجِلاِ من سِن السنوات الثلاث وحصلت على أنسبِ سعر . .

- خيرًا فعلت . .

عاد يقول :

- اليوم السبت ، وبعد الظهر مناسبٌ لتناول العشاء في أحد مطاعم سالينلس ، ثم نذهب بعد ذلك إلى السينما . .

- لا بأس . . .

- وهناك مصارعة . أتودين مشاهدتها ؟

[لاهثة الأنفاس] ردت :

- لا ، فإنني لا أحب المصارعة . .

- كنت أمزح يا «إلزا» ، سنذهب إلى السينما . الساعة الآن الثانية وسأصحب « سكوتي » لتحطم الحجول ، سيستغرق الأمر ساعتين ، وفي الخامسة نكون في المدينة لنتناول عشاءنا في فندق الكومينز . . أيعجبك ذلك ؟

- بالطبع ، ما أجمل أن نأكل خارج البيت !

- سأسرج الجوادين . . .

- وأنا سأنقل الأزهار . . .

تناهى إلى سمعها صوت زوجها يدعو للمساعدة ، ثم رأتهما يصعدان التل . .

قلبت «إلزا» حوض الأزهار ، ثم حفرت عشر حفر متوازية : قلعت أوراق الأزهار الصغيرة ورتبتها في الحوض . . لكن ، سمعت صرير عجلات ، ثمة حوافر على الطريق . . . فطرت . . .

يمتد طريق القرية على شاطىء النهر إلى حيث تتكاثف أشجار الصفصاف . رأت «إلزا» عربة قديمة غريبة المنظر . كان سقف العربة مستديرا ومن القماش . . . يجر العربة جواد عجوز كستنائى اللون وحمار صغير رمادى . . على مقعد السائق شيخ كث اللحية ، وبين العجلتين الخلفيتين يسير كلب بدين . فوق القماش مكتوب هذه الكلمات بحروف مائلة للون الأسود لطخت القماش : [**آنية ، أوعيه ، سكاكين ، مقصات ، آلات لقطع الحشائش . . الثمن محدد**] . . تربعت «إلزا» ، فقد استدرات العربة نحو المزرعة . . سبق الكلب العربة فتصدى له كلبا المزرعة . . توقف الثلاثة بذيول منتصبة ترتعش غضبا ، وبقوائم مستقيمة فى كبرياء السفراء . . دارت الكلاب تتشمم بعضها البعض . اقتربت العربة من الحاجز وتوقفت . .

أرخى الكلب ذيله وانسحب فى مذلة إلى تحت العربة - صاح السائق :

- كلب جبان !

فضحكت «إلزا» وهى تقول :

- أرى ذلك . . لكن متى يثور ؟

سرت عدوى الضحك إلى الرجل ، رد وهو يقهقه :

- إن ذلك يستغرق أسابيع وأسابيع . .

وهبط من العربة ، فبرك الجواد والحمار على الأرض فى

إعياء شديد كزهرتين ذابلتين .. الرجل ضخم لكنه لم يكن عجوزا بالرغم من شيب الشعر واللحية ..

يرتدى بدلة ممزقة تنتشر فيها البقع .. عيناه سوداوان فيهما عمق الرعاة والبحارة .. يداه مشققتان من أثر العمل .. رفع قبعته البالية قائلا :

- لقد ضللت الطريق ، فهل يقودنى الطريق عبر النهر إلى لوس أنجلوس ؟

نهضت «إلزا» ، وضعت المقص فى جيب المريلة ، وقالت :

- نعم ، لكنه طريق كثير الالتواء .. وقافلتك متعبة ..

- آه ! قد يدهشك ما تستطيع قافلتى فعله !

- عندما تثور ؟

أجاب وهو يضحك :

- أجل ...

- الأفضل أن تعود أدراجك وتواصل الطريق من ساليناس ..

[**مرّر أصبعه عبر الأسلاك فأحدث رنيناً**] وهو يقول :

- لست فى عجلة ، إننى أمكث عاما فى الرحلة من سيتل إلى سان دييجو .. هدفى أن أسير دائما فى طقس لطيف ..

نزعت «إلزا» القفازين وأودعتهما جيب المريلة .. تحسست حافة القبعة وهى تقول :

- طريقة ظريفة للعيش !

فى اعتداد قال :

- هل لاحظت الكتابة ؟ إننى أصلح الآنية وأشحذ السكين والمقص . هل لديك شىء أصلحه ؟!

- كلا . .

- على رسلك إذن عليك أن تأتينى بوعاء محنى أو مثقوب فأجعله جديدا . إنك ستوفرين الكثير ولن تحتاجى إلى شراء الجديد . .

قالت فى اقتضاب :

- كَلا ، أخبرتك أنه ماعندى شىء لتصلحه !

كسا وجهه الحزن وقال باستعطاف :

- إننى خال اليوم وقد لا أتناول العشاء وترين أننى ضللت الطريق ؟

- آسفة ، ليس لدى ما تصلحه . .

فاستقرت عيناه على حوض الزهور وقال :

- ماهذه الأزهار ياسيدتى ؟!

ذاب التحفز والمقاومة من وجه «إلزا» وقالت :

- أوه ! إنها أزهار الكريزانتوم العملاقة ، بيضاء وصفراء . . إنها أضخم من أى أزهار تنمو حولنا . .

- أهى طويلة الساق مثل نفثة الدخان الملونة السريعة ؟

- إنها كذلك . . . لقد أجدت الوصف . .

- إن لها رائحة غير مستحبة إلى أن يعتادها المرء . .

- بل رائحة نفاذة . .

فتغيرت نغمة صوته :

- عموما . . . إننى أحب تلك الرائحة . .

- إن أزهارى ذات عشر بوصات . . .

فزاد من انحنائه على الحاجز وهو يقول :

- أعرف سيدة لديها أعظم حديقة فى الدنيا ، لكن لا يوجد لديها أزهار الكريزانتوم . . كنت أصلح لها إبريقا من النحاس فقالت لى :

- إن صادفتك أزهار الكريزانتوم البديعة ؛ فاحضر لى قليلا من بذورها . .

فتوهجت عينا «إلزا» وهى تقول :

- إنها لا تعرف الكثير عن الأزهار . . إن الأيسر لها أن تغرس الجذور .

- أوه ، هل أستطيع أن أخذ لها جذورا ؟

- بالطبع ، سأضع لك بعضها فى أصيص ، ثم تنقلها السيدة إلى حوض الأزهار . .

- لابد أن السيدة ستجن فرحا ، هل البراعم جميلة ؟

- بل رائعة . . .

لمعت عيناها ، ونزعت القبعة فانساب شعرها الجميل فوق كتفيها .

قالت :

- هيا إلى الحديقة . . .

دخلا ، وجرت «إلزا» إلى الممر المحفوف بأشجار الصفصاف وعادت تحمل أصيصا كبيرا أحمر . نسيت القفازين وركعت إلى جوار الحوض ، تحفر التربة بأصابعها ، وتضع الرمل في الأصيص اللامع ، ثم حملت بعض البراعم وغرستها في الرمل . . راقبها وهى تقول :

- سأخبرك بما تفعل ، تذكر ما أقول حتى تنقله إلى السيدة

- سأتذكر . .

- إن هذه الجذور ستزهر خلال شهر واحد ، ثم تخرجها السيدة من الأصيص وتغرسها فى الحديقة . . فتعود لتنمو بسرعة وتستطيل ، لكن عليك أن تذكرها بأن تقطعها فى يوليو حين يصل ارتفاعها إلى ثمانى بوصات . .

- قبل أن تزهر ؟!

- بالطبع وسوف تنمو من جديد ، أما البراعم فإنها سوف تظهر فى سبتمبر . . إن البراعم تتطلب عناية فائقة . . لا أعرف كيف أخبرك . .

تفحصت عينيه فى عمق ، وقالت فاغرة الفم :

- سأحاول .. هل شاهدت يدين خبيرتين بالزراعة من قبل ؟

- لا أدعى ياسيدتى أن لى مثل هاتين اليدين .

- سأحدثك عن الإحساس .. تعرف ذلك حين تنزع البراعم ويتم كل شىء على مايرام بأطراف أصابعك ؛ إنك تراقب أصابعك فحسب . . . إن الأصابع تنزع البراعم دون خطأ وتشعر أنت بذلك . . . هل فهمت ؟

- ركعت تنظر إليه وصدرها يتأجج .. ضاقت عيناه ، لكنه ابتعد بنظره قائلاً :

- يبدو إننى أعرف ؛ ففى الليل يحدث عندما أكون داخل العربة . . .

قاطعته :

- لم أعش مثلك ، لكننى أعرف ما تعنى .. فحين يحل الظلام وتلمع النجوم ويعم السكون تسمو روح الانسان . . .

وتسللت يدها تجاه ساقيه .. كادت تلمس القماش لكنها توقفت ، وسقطت على الأرض ..

- إن ماتقولينه بديع ، لكن الأمر يختلف حين لا تجدين اللقمة . . .

نهضت فى خجل ، وضعت الأصيص بين ذراعيه قائله :

- ضعه فى العربة ، سأحاول أن أجد لك شيئا تصلحه . .

اختفت خلف البيت . نبشت وسط كومة من الصفائح ، تناولت إناءين قديمين من الألمونيوم ، عادت تناوله الإناءين وتقول :

- ربما يمكنك إصلاحهما . .

قال فى لهجة الخبير :

- سأعيدهما جديدين . . .

جلس خلف العربة وهو يضع سندانا صغيرا ويستخرج مطرقة من صندوق أدواته . . راقبته «إلزا» وهو يصلح الإناءين وعلى فمه ابتسامة واثقة . . .

قالت تسأله :

- هل تنام فى العربة باستمرار ؟!

- أجل ياسيدتى ، حيث لا أشعر ببرد ولا حر مثل البقرة على التل !

- ظريف ، ليت النساء يفعلن مثلك . .

- إنها أعمال لا تناسب الأنثى !

فى ازدراء رفعت شفتيها وقالت بحدة :

- من قال ذلك ؟ هل لديك تفسير ؟

- لا أعرف ياسيدتى ، آه ، لقد انتهيت ، خذى الإناءين . .

- كم تريد ؟

- خمسين سنتا فحسب ، إن أسعارى منخفضة رغم مهارتى

وربما ذلك هو السبب فى كثرة زبائنى فى كل مكان . .

وضعت فى كفه النقود قائلة :

- قد يدهشك أن يوجد ثمة منافس ، فإننى أستطيع أن أشحذ أي مقص وأن أصلح أي آنية ، هل أريك ما تستطيعه الأنثى ؟

فأدخل المطرقة فى صندوق أدواته ، وأعاد السندان إلى مكانه وهو يقول :

- ستكون حياتك إذن موحشة ومخيفة ؛ إذ تضطرين إلى العيش مع حيوانات تقلق مناماتك طول الليل . . وتسلق بي نعرية مكملا .

- شكرا لطيبة قلبك ياسيدتى . . سأعود إلى طريق سالينياس . .

- تذكر أن تحفظ الرمل مثلا . . .

- أى رمل ؟ آه ! تقصدين الكريزانتوم ؟ سأتأكد وانطلقت العربة عائدة من حيث أتت . . وقفت "إليزا" عند الحاجز ترقب ابتعاد القافلة فى بطء . . كتفاها مستقيمان ، رأسها مائل إلى الخلف وهى تنظر . . وتحركت شفتاها :

- إلى الملتقى . . إلى الملتقى . . .

وتابعت فى همس :

- سير بهيج ، وطقس مشرق . . .

هزها الصمت ، راحت ترقص فى حرية وهى تتطلع حولها . سمع الكلبان حركتها فهزا الذيل والرأس ، ثم أخلدا إلى النوم ... استدارت «إلزا» ، ومضت إلى البيت وهى تثب ... وقفت خلف الموقد تتحسس خزان الماء ... حسن .. الخزان مترع بالماء الساخن .. فلتذهب إلى الحمام ، نضت عنها ثيابها الموحلة ، وحكت جسدها بحجر فى عنف ، حتى انبثقت منه الدماء ، ثم انساب الماء على جسدها ، وهى ترتعش فى لذة . نشقت جسدها ونظرت فى المرآة تتأمل .. قبضت بطنها . وأبرزت صدرها .. من وراء ظهرها نظرت فى قوامها الرشيق ، ثم ارتدت ثيابها على مهل ...

صففت شعرها بعناية ، ثم زججت حاجبيها وخضبت شفتيها بأحمر الشفاه ... ، سمعت حوافر الخيل وصيحات هنرى ورفيقه يقودان العجول إلى الحظيرة .. وصوت الباب يقفل .. هاهو هنرى يدخل البيت مناديا :

– «إلزا» ، أين أنت ؟!

– فى غرفة النوم أرتدى ثيابى .. ثمة ماء ساخن لحمامك فأسرع لأن الوقت يتأخر ياهنرى ..

وضعت بذلته السوداء على الفراش ، وكذلك قميصه وجوربه ورباط عنقه .. وإلى جوار الفراش وضعت حذائيه الملمعين ،

ذهبت وجلست على عتبة الباب تتأمل .. لا تزال أشجار الصفصاف طويلة وصفراء .. يبدو الصفصاف وسط الضباب كحزمة ضوء رفيعة .. ظلت «إلزا» مدة طويلة بلا حراك ...

مرق هنرى إلى حيث تجلس وهو يدوس رباط عنقه داخل صديريته . تصلب وجه «إلزا» . توقف هنرى يتأملها وهو يقول :

– لماذا أنت رائعة الجمال يا «إلزا» ..؟

– هل تظننى جميلة ... ماذا تعنى ؟! ..

[تلعثم هنرى وهو يجيب] :

– لا أدرى .. أعنى أنك تبدين مختلفة ، فأنت سعيدة وقوية ..

– قوية ؟ أجل إننى قوية .. لكن ماذا تعنى ؟!

دهش هنرى .. لكنه قال :

– هل تحاورينني ؟ أهى لعبة تمارسينها معى يا «إلزا» ؟! صدقينى لو قلت ، إنك تستطعين القضاء على عجل بضربة واحدة كما أنك سعيدة حتى ليمكنك أن تبلعى عجلا مثل البطيخة ..

زايل وجهها التصلب وقالت :

– لا تحدثنى على هذا النحو .. إننى فعلا قوية لكننى لم أكن أعلم كم أنا قوية !

نظر إلى الحظيرة وقال :

– سأخرج العربة ؛ فأسرعى بارتداء المعطف !

دخلت البيت ، سمعته يقود السيارة إلى البوابة .. أمضت

«إلزا» وقتا طويلا فى ارتداء القبعة ، لكن ما أن أدار هنرى محرك السيارة حتى أسرعت ترتدى المعطف وتخرج .. تدحرجت السيارة على طول الطريق الموحل ، فأفزعت الطيور وألجأت الأرانب المذعورة إلى الأدغال ..

عن بعد لمحت «إلزا» بقعة فشعرت بفراغ هائل سد أذنيها عن حديث هنرى .. حاولت أن تتحاشى النظر لكنها لم تقدر . رأت الكريزانتوم ملقى على الطريق ... لكنها لم تلمح الأصيص .. آه .. لابد أن العجوز قد احتفظ به .. ومرا بالعربة العجيبة ... فتذكرت رائحة الرجل النفاذة .. وأصابتها رعدة ... هاهى ذى يدها ملقاة على حجرها ... تلك اليد الخبيرة بالزراعة .. رأت «إلزا» القافلة أمامها فاستدارت إلى زوجها تتحاشى النظر إلى القافلة ... الآن اختفت العربة ، واختفى الرجل الذى عقد معها صفقة .. صاحت تقول بصوت غطى على صوت المحرك :

– ستكون ليلة رائعة وعشاء طيبا !

– قال بصوت فى رنة الشكوى :

– ها أنت قد تغيرت مرة وأخرى ... وربت على ركبتها قائلا :

– لابد من أن آخذك للعشاء فى الخارج باستمرار .. إن هذا أفضل لكلينا ! لقد أرهقنا أنفسنا أكثر من اللازم !

- هل سنتناول النبيذ ياهنرى ؟

- بالطبع وهذا بديع !

- هل يؤذى الرجال بعضهم البعض فى المصارعة ؟!

- أحيانا ، لماذا ؟

- قرأت أنهم يكسرون أنوفهم ، ويجرحون صدورهم .. وتتلطخ قفازاتهم بالدماء ...

تحول بناظريه إليها :

- ما الحكاية يا «إلزا» ؟ لم أكن أعرف أنك تقرأين كثيرا عن مثل هذه الأشياء !

وأوقف السيارة تجاه جسر نهر سالنياس ، فسألته :

- هل تذهب النساء إلى المصارعة ؟

- أوه ! بعضهن يذهب .. ما الخبر يا «إلزا» أتودين الذهاب ؟ سأصحبك لو كنت ترغبين ...

استرخت فى مقعدها قائلة :

- أوه ! كلا ، لا أريد الذهاب بالتأكيد ..

وحولت وجهها عنه وهى تقول :

- فى النبيذ الكفاية ..

ورفعت ياقة المعطف حتى لا يرى أنها كانت تبكى .. ضعيفة كامرأة عجوز !

* * *

ممنوع اللمس
قصة : روبرت بلوخ

ضاق ريس ذرعا بالهند ، قال بغلظة :

- ألا تعلم أن كل شيء هنا بلا حركة ؟ أين العمل ؟

فقد أرهقه المصورون كثيرا ، لكن سيمون روضه ؛ اعتاد سيمون أن يروضه باستمرار ، وقد يكون هذا سر نجاحه فى إخراج المشاهد على أحسن وجه ؛ إذ لولاه لقاطع الجميع شركة إنتاج ريس هارمون ! قال سيمون :

- انظر يا عزيزى . . إننى أعرف أن السكون هنا يضجرك ، فأولا الحر اللافح والأمطار ، ثم ركوب الخيل . لقد استدعانى ميلر بخصوص الميزانية وبلغ من ثورته أن صياحه قد أسمع من به صمم ! دمدم ريس :

- دعه يعانى ! ورشف رشفة من كأسه وأردف يقول :

- أمن حقه أن يستنزفنى ؟ إنه يعيش فى مكتب مكيف الهواء وبصحبته شقراء حسناء تؤنسه ، لماذا لا يدع كل شيء ويرحل ؟ أؤكد لك أنه يفضل أن يبقى محاطا بباقة من الملونين الصم .

زمجر سيمون :

- من فضلك أود أن أحذرك ، إنهم ليسوا زنوجا ، بل إنهم فنانون ، وعندما استأجرناهم فى بومباى عملوا ولا يزالون يؤدون عملهم أفضل من نظرائهم فى هوليوود ! إن الذى يغيظهم هو حديثك فى الميكرفون تذكر يا عزيزى أنك لست الآن فى بلدك !

- إنت لا تمل من تكرار ذلك ؛ من أين أنا ؟ إننى اسمى

العامل باسمه سواء أكان يرتدى حذاء أم يسير حافيا ؟! والأمور هنا نمطية ، ولا جديد ، أكتب علينا أن نرقد فى كسل هكذا ؟

– ثمة شىء آخر عليك ألا تعاملهم بجفاء . . . !

– سأحرز هدفى فى مكان ما ياعزيزى ولا شىء يستهوينى هنا ! أتعلم أننى كنت أتوقع أن أجد ضالتى فى جلاديس فإن لعينها سحرا وفتنة ! لا تنس أننى أعطيت فتاتك دورا صغيرا فى الفيلم ؛ تلك التى كانت ملاحظة للسيناريو هل اسمها أدنا ؟!

تأوه سيمون وهو يقول :

– بل ميزى . . . وعليك ألا تضايقها !

– على رسلك إنها تعمل من الحبة قبة !

وطرح الكأس أرضا وهو يقول :

– والمطلوب منى ؟ إننى فى غاية الألم والمعاناة .

– عليك بالصبر ، فبعد أسبوعين ينتهى التصوير ونرحل .

– أسبوعان ؟ انتبه أيها العجوز إنك تُحدِّثُ ريس هارمون وليس بارى فتزجرالد ! إننى مجبر على أن أصور المشاهد الرديئة بينما أرقب الفتيات يرتدين السارى الهندى ويتنزهن بمحاذاة النهر ، لقد طاردت إحداهن بالأمس ؛ كانت تناهز الخامسة عشرة بيد أن لها . . .

فقاطعه سيمون :

– إنها جريمة يا ريس ، لقد راقبك الجميع لكنك أحسنت

صنعا بعدم التمادى فى الأمر وإلا ثار الناس ، وهاجوا ! كم أتمنى ألا يصل الأمر إلى أسماع القصر !

- وما الضرر ؟

- ألا تفهم ؟ إن هؤلاء الناس ليسوا وحوشا غبية ، لقد قابلت أميرهم وهو رجل ذكى ، وفى رأيى أنه أكثر منك تحضرا !

- إنه ملون !

- على رسلك ، عليك أن تحسن السلوك الليلة ولا تنس أننا مدعوان إلى العشاء فى القصر !

- لن أذهب ، سأتناول عشائى هنا .

- بل تصحبنى إلى القصر . .

بحزم قالها سيمون ، ثم أردف يقول :

- لقد استأجرنا أرضه وناسه ، ولا نستطيع إغضابه ! عليك أن تحسن التصرف . . . واضح ؟

- دعنى أحييك ؛ فالحق معك ، من يدرى فربما أحسن وفادتنا !

* * *

مضيافا كان الأمير ؛ فقد دعا عشرين ضيفا من العاملين فى الفيلم بينهم ريس وسيمون . شخص فحسب دعاه الأمير ولم يعرفوه من قبل ؛ شيخ ذو لحية شهباء قدمه الأمير إليهم بقوله :

– إنه رئيس الحرس بالقصر واسمه « ساس سينج » ، صحيح أننى لم أعد الحاكم الرسمى للمقاطعة لكن علينا أن نطيع سادتنا .

فقال ريس ساخرا :

– جردوك من كل شىء إذن . . . هه ؟! وجرع ما فى الكأس وأردف :

– وأظنهم أخذوا حريمك كذلك ؟

– حريمى ! ليس لى حريم يا عزيزى !

كان الأمير متين البناء وفى أواسط العمر يرتدى بزةً أنيقة بنية من التويد وفوق عينيه نظارة وكانت أعماقه تغلى غضبا !!

قال ريس :

– دعك من هذا ، فالكل يعرف أنكم معشر الأمراء تمتلكون الكثيرات من المحظيات هنا مربط الفرس !

قال الأمير :

– آسف يا مستر هارمون إننى لا أستطيع مجاراتك .

– لا تبال . . وإلىَّ بالراقصات !

– ماذا ؟ ليس عندى راقصات ! إن النساء الآن فى الخلوة فى المعبد .

فضحك ريس صائحا :

– خذنى إذن إلى المعبد !

وإذ لم يتابعه أحد فى مزحته فقد توقف !

قال الأمير :

- نحن لا نرحب بالغرباء فى معابدنا ، قد نسمى هذا تعصبا ؛ لكن شعبى يرفض اقتراب الغرباء من الخلوة .

هز ريس رأسه وقال :

- فهمت . . علىَّ إذن أن أنفض يدى من هذا الأمر أليس كذلك ؟

- إننى ذاهب إلى منزلى .

- عفوا يا مستر هارمون !

- لا عليك . . . هل سمعت عن العجوز ريس ؟ ألهذا أبعدت الحريم عنى ؟

- دعنى أؤكد لك أن لى زوجة واحدة فحسب ، وهى الآن فى الخلوة ولا يجرؤ أحد على لمسها !

ساخرا عاد ريس يقول :

- كلهن ممنوعات اللمس هنا أليس كذلك ؟ حسن ، لا يمكن لأحد أن يمتنع على ريس ! وإن أردت شيئا فعلته مفهوم ؟

ونهض عن المائدة متجاهلا إشارات سيمون وهو يقول :

- آه لننس الموضوع ، أين رئيس الحرس ، هلا قادنى إلى الحمام ؟

تبادل الأمير ورئيس الحرس نظرة ذات مغزى . . . راقبهما

ريس متحفزا .. ولكن لم يلمح غضبا ، بل أومأ الأمير إلى الشيخ فنهض وأشار إلى ريس فى أدب أن يتبعه وسرعان ما غادرا قاعة الطعام .

همس ريس لنفسه :

- عليك أن تكبح جماح نفسك ... حسنا إن أراد أصدقائى أن يتأدبوا مع الملونين فهذا شأنهم ، أما أنا فأعرف ما أريد ! ماذا قال التافه عن زوجته ؟ آه ! إنها فى الخلوه ! آه لو ألقاها ! إذن للقنته درسا لن ينساه !

انتحى الشيخ جانبا وانحنى قائلا :

هنا ياسيدى .

دخل ريس حماما على أحدث طراز .. توقف أمام المرآة ليجفف وجهه ، كان قد استعاد هدوءه وشعر بالنفور من مسلكه ! قال لنفسه :

يجمل بى العودة إلى القاعة !

خطا إلى البهو .. كان أمامه صف من الأبواب مغلقة عدا بابا ، وبينما يخطو عائدا زكمت أنفه رائحة نفاذه ؛ توقف قابلة الباب الموارب واختلس النظر .

الحجرة معتمة بيد أن ضوء القمر المتسلل من النوافذ كشف مافيها ؛ ثمة فتاة جالسة على أريكة ترتدى السارى الهندى ، ولا تتزين بأية حلى ! لكن مالزوم الحلى لتلك الحورية ؟

نهضت الفتاة فى ارتياع حين رأته يخطو نحوها مغلقا الباب خلفه .. اتسعت عيناها من الدهشة ! وصاحت فى رجاء :

لا تفعل ياسيدى إننى ممنوعة اللمس ! تعثرت وهوت فأنهضها ويداه تمزقان السارى الحريرى وتتحسسان بدنها البديع الدافىء ، قاومت الفتاة فى وهن ولكن شفتيه أطبقتا على شفتيها الناريتين ولسعة لسانها كالبركان المتقد وهمس :

أأنت ممنوعة اللمس يا طفلتى ! سنرى !

* * *

تركها تنشج دون كلمة ! أى جحيم هذا ؟ إنها لن تتكلم وإذا سأله أحد عن سبب تأخره ؟ فإنه سيرد بأنه شعر بغثيان فأفرغ مافى جوفه ، لكنه سيعلم الأمير بما كان قبل أن يغادر القصر .

إن الأمير يعرف أن ريس جذاب ، ومن ثم فقد أبعد عنه الفتيات ، ما أروع أن أرى وجهه حين يعلم أننى عبثت بزوجته ! لقد انتصرت !

شعر براحة عميقة ؛ إذ لم يلحظ أحد مقدمه ؛ فقد كانوا مشغولين برجل يرتدى بدلة بيضاء مضحكة ! انتبه الأمير إليه وقال :

- هل تشعر بأنك أفضل الآن يا مستر هارمون ؟

- أومأ ريس برأسه وهو يرسم على شفتيه ابتسامة معسولة .

عظيم أن شعرت بتوعك فإن الدكتور (جوبورا) موجود ..

لمعت عينا ريس :

- هل استدعيته من أجلى ؟
- كلا لقد وصل لتوه من بومباى .
هنا قال الطبيب ضئيل الجسم :
- بالطبع لا فائدة ترجى ، وإذا كان ما أخبرتنى به صحيحا فإن المريضة ستودع الدنيا بالتأكيد ، كل ما أرجوه أن ينتهى الأمر فى سهولة وبدون ألم ، إننى أشكرك لأنك تركتها معزولة . شعر ريس بغصة فى حلقه وهتف صائحا :
مهلا ! هل زوجتك مريضة ؟
زوجتى ليست هنا يامستر هارمون إنها فى الخلوة فى بومباى إننا نتحدث عنَ مسكينة جاءوا بها من القرية أمس ؛ لقد أحضرتها هنا كى لا تنتشر العدوى ؛ فالداء بلا ريب عضال . أى داء ؟
- الكوليرا !
وهز الأمير رأسه بلا مبالاة وقال وهو يبتعد :
هلا صحبتنى إليها يا دكتور ؟ إن غرفتها ليست بعيدة عن القاعة . شعر ريس بدوار ، وقبل أن يهوى خيل إليه أن الأمير ورئيس الحرس يتغامزان ، لكنه ليس واثقا من أن ذلك الألم يزحف سريعا إلى رأسه وحلقه ؛ ألم فتاك ، ألم فظيع مصحوب برعشة كالتى فى شفتىْ ولسانِ تلك الممنوعة اللمس !

* * *

مكان نظيف حسن الإضاءة

قصة : إرنست هيمنجواى

كان الوقت متأخرًا وغادر الكل المقهى عدا عجوزا يجلس في ظل الشجرة المورقة المواجهة لضوء المقهى الساطع ، في النهار كان الطريق متربا ، لكن في الليل صفا الجو بفعل الندى . إن العجوز مولع بالجلوس إلى الهزيع الأخير من الليل ؛ فهو أصم ، والليل هادئ ، والأشياء مختلفة عنها في النهار . يعرف نادلا المقهى بالداخل أن العجوز يحب الشراب ، وها هو قد شرب قليلا ، ولكنه إن يسرف في الشرب يذهب دون أن يدفع ! من ثم فإن أعينهما لا تغفل عن مراقبته .

قال أحد النادلين :

- لقد حاول الانتحار الأسبوع الماضي . . .

- لِمَ . . . . ؟

- لا لشيء . . . .

- كيف علمت أنه لا شيء ؟!

- إن لديه الكثير من المال . . . !

جلس الاثنان إلى منضدة في مواجهة للجدار القريب من باب المقهى . . . نظرا إلى الموائد الخالية عدا منضدة الرجل الجالس في ظل الشجرة . . . . كانت أوراق الشجرة تتحرك بخفة بفعل الريح . . . مرت فتاة يصحبها جندي - لمع ضوء الشارع على كتفيه وعلى ياقته . . . أبصر الاثنان ما عليهما من رتبة : . . . كانت الفتاة تحث الخطى عارية الرأس . . .

قال أحد النادلين :

- ماذا لو اعتقله الحراس وهو يمر مع الفتاة فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

- بل قل : ماذا لو أفلت منهم ؟

- يجمل به الإسراع وإلا اعتقلوه . . . لقد مروا منذ خمس دقائق فحسب . دق العجوز الجالس فى الظل المنضدة بكأسه ، فهرع إليه النادل الشاب.

- ماذا تريد؟

نظر إليه العجوز وقال :

- كأسا أخرى من البراندى .

قال النادل : سوف تسكر . . . . .

حدجه العجوز بنظرة فابتعد . . . .

قال الشاب لزميله :

سيظل يشرب حتى الصباح ، وأنا أغالب النعاس الآن . تصور أننى لا أذهب إلى فراشى قبل الثالثة . . .لقد كان موشكا على قتل نفسه الأسبوع الماضى وليته فعل !

وتناول زجاجة من البراندى وكأسا أخرى . . . . وخطا إلى حيث يجلس العجوز . . . وضع الكأس على المنضدة وصب البراندى . . . وهو يقول للعجوز الأصم :

- ليتك مت الأسبوع الماضى !

- حرك العجوز أصبعه قائلا :

- زد قليلا . .

ظل النادل يصب البراندى حتى اندلق على المنضدة . . .

هنا قال العجوز :

- أشكرك

عاد النادل بزجاجة البراندى إلى البار ، ثم عاود الجلوس إلى جوار زميله وهو يقول:

- إنه مخمور الآن . .

- إنه يسكر كل ليلة . .

- لماذا أراد الانتحار ؟

- لا أعرف . . .

- كيف حاول أن يقضى على حياته ؟

- شنق نفسه بحبل . . . .

- ومن نجاه ؟!

- ابنة أخيه . . . .

- لِمَ ؟!

- خوفا على روحه . . .

- كم معه من مال ؟

- الكثير . . .

- لابد أنه فى الثمانين . .

- أظنه فى الثمانين . .

- أتمنى لو يعود إلى بيته فإننى لا أوى إلى فراشى قبل الثالثة . . . ويا لها من ساعة منكودة . . . .

- إنه يسهر هنا لأنه يحب هذا المكان . . .

- إنه وحيد ! بينما لى زوجة تنتظرنى فى الفراش . .

- فى الماضى كان له زوجة هو أيضا . .

- ما نفع الزوجة له الآن ؟!

- لا تستطيع أن تقطع بأن رأيك صحيح . . ربما تحسنت حاله مع زوجته . .

- إن ابنة أخيه تُعْنَى به . . .

- أعلم ؛ أنت ذكرت أنها نجته من الانتحار . . . .

- لا أريد أن أصير عجوزا مثله . . إن الشيخوخة شىء مقزز .

- ليس دائما . . . فهذا العجوز نظيف ورغم أنه يشرب فإنه لا يبلل ملابسه . . . وإذا أسرف فى الشراب لا يوسخ نفسه - انظر إليه !

- لا أريد أن أنظر إليه وإنما أود الذهاب إلى البيت ، إن هذا الرجل لا يهمه من يعملون من أمثالنا !

نظر العجوز من خلال كأسه الفارغة إلى الميدان ، ثم إلى النادلين وقال مشيرا إلى كأسه :

- أريد كأسا أخرى . . .

أقبل إليه النادل الشاب المتعجل الذهاب وهو يقول فى غلظة :

- نفد البراندى . . . لا مزيد . . لقد أقفلنا البار . .

بطريقة الأغبياء الذين يحادثون المخمورين أو الغرباء قالها . . بلا مبالاة . . بلا مبالاة . .

قال العجوز فى إصرار :

- كأسا أخرى . . . .

مسح الشاب المنضدة بفوطة وهز رأسه قائلا

- كلا ، لقد انتهينا . . .

نهض العجوز ، أخرج من جيبه حافظة نقود جلدية . دفع الحساب ومعه قطعة بقشيش من ذات النصف بيزيتا . . راقبه النادل العجوز وهو يخطو إلى الشارع . . كان يسير منفرج الخطى لكن فى وقار . . . سأله زميله المتعجل:

- لماذا لم تدعه يبقى ويشرب . . إن الساعة لم تتعد الثانية والنصف بعد . . ؟ كان زميله يضع المزاليج على الباب فأجاب:

- أريد الليلة أن أنام مبكرا . .

- لكن ما قيمة ساعة مبكرة من الزمن؟

- إن ساعة الزمن هى ذاتها ساعة الزمن . . .

- أنت نفسك تتحدث مثل العواجيز . . هذا العجوز يستطيع أن يشترى زجاجة خمر ويشربها فى البيت . . .

- ليست المسألة على النحو الذى تتصوره. . .

وافقه الشاب قائلا :

- لا ، ليست كذلك .

لم يرد الشاب أن يبدو ظالما للعجوز . . كل ما هناك أنه فى عجلة من أمره ؛ فسأله زميله المتمهل:

- ألا تخشَ أن تعود للبيت قبل موعدك المعتاد ؟

- هل تحاول إهانتى ؟

- لا يا رجل ، إننى أمازحك . . . أنهى الشاب وضع المزاليج . . قال :

- إننى واثق . . كلى ثقه بزوجتى !

- لديك الشباب والثقة والعمل . . . إنك تمتلك كل شىء !

- وماذا ينقصك أنت ؟

- كل شىء سوى العمل . .

- إن لديك كل ما لدى . . . .

- لا ؛ ليس لدى الثقة ! كما إننى لست شابا مثلك . .

- هيا . . كفاك ثرثرة واقفل الأبواب. . .

- إننى من هؤلاء الذين يحبون السهر فى المقهى . . .

قالها النادل العجوز وأردف:

- ومن أولئك الذين يكرهون النوم والذين هم فى حاجة إلى الضوء فى الليل.

- أريد أن أذهب لأنام. . .

قال العجوز :

- نحن من نوعين مختلفين . .

بدل الاثنان ثياب العمل . . . وعاد العجوز يقول :

- ليست المسألة شباب وثقة فحسب برغم أنها أشياء رائعة . . . فإننى فى كل ليلة أكرة أن أغلق المقهى ؛ إذ ربما كان ثمة من هم فى حاجة إليه .

- يا رجل . . . هناك حانات كثيرة مفتوحة طوال الليل. .

- أنت لا تفهم . . هذا المكان مقهى مبهج ونظيف ، إنه حسن الإضاءة . . والضوء ممتاز ، كما لا تنسَ ظلال الشجرة .

مودعا قال الشاب : طابت ليلتك . .

- طابت ليلتك . . . قالها العجوز وهو يطفئ الأضواء. . .

واستمر يحدث نفسه :

- إنه بالطبع الضوء بيد أنه لا بد أن يكون المكان مبهجا ونظيفا. . .

أنت بالتأكيد لا تريد موسيقى . . كما لا تستطيع أن تقف أمام البار بوقار برغم أن كل شىء موفور لقضاء الليل - ماذا يخشى الشباب . .؟

إنه شاب لا بأس به . . . لكنه لا يعرف أى شىء على نحو أكيد . .

ليست حكاية رجل عجوز - كل ما هناك أن شخصا ما يحتاج الضوء والنظافة والخدمة . . . عاش الشاب هنا حقا لكنه لم يشعر أبدا بأى شىء . . . بل إنه يعرف . . أنه لا يوجد شىء . . .أى شىء لا شىء . . . لا شىء . . . خذ لا شىء . . . أعط لا شىء . . . تحصل على لا شىء . . . مرحى . . . لا شىء تملكه . . . ! وقف أمام جهاز إعداد القهوة مبتسما . . فسأله الساقى :-

- ماذا تطلب . . . ؟

- لا شىء . . .

قال الساقى بالأسبانية وهو يستدير :

- لا شىء ؟

- قال العجوز :

- قدحا صغيرا . . .

فصب له الساقى قدحا . . .

قال العجوز :

- الضوء باهر ومبهج ! لكن البار يحتاج إلى تلميع . . .

نظر إليه الساقى ولم يجب . . .إن الوقت قد تأخر على الخوض فى حديث لا طائل منه . . .

سأله الساقى :

- أتريد قدحا آخر ؟!

- كلا ، أشكرك . . . .

أنه يكره الحانات والبارات . . . المقهى نظيف حسن الإضاءة . . . إنه شيء مختلف تماما عن الحانات . . . الآن سيترك التفكير ويذهب إلى غرفته ويرقد فى الفراش وحيدا . . . وأخيرا حين تبدأ الشمس فى الشروق سينام . . . على أية حال . . . قال لنفسه :

- ربما هو الأرق فحسب . . وأظن أن الكثيرين يعانون منه مثلى !

* * *

نهاية الحفل

قصة : جراهام جرين

صحا بيتر مورتون متأهباً للقاء أول بصيص ضوء تسلل من خصاص النافذة . استطاع أن يلمح غصن الشجرة متدليا ، عريانا وسط هالة فضية . كان الثلج يهطل ويلطم زجاج النافذة : إنه الخامس من يناير . .

عبر المائدة التى انعكس عليها بصيص الضوء على سيل متدفق من الماء ؛ نظر بيتر . على الفراش الآخر كان فرانسيس مورتون ما يزال راقدا . عاود بيتر رقاده وعيناه شاخصتان إلى أخيه .

إنها لمتعة أن يتخيل أنه ينظر إلى صورته الذاتية ؛ نفس الشعر والعينين والشفتين والخدين . لكن سرعان ما ينقطع الخيال ويعود الذهن إلى الحقيقة التى أسبغت على النهار أهميته ؛ إنه الخامس من يناير ، وهو لا يكاد يصدق أن عاما قد انقضى منذ أقامت السيدة حنة فالكون آخر حفلة لعيد ميلادها .

انقلب فرانسيس فجأة على ظهره ، ووضع ذراعا على وجهه سادًا به فمه . بدأت دقات قلب بيتر تتسارع ، ليس من السرور الآن بل قلقا على أخيه ؛ جلس على فراشه ونادى أخاه ، ثم قال : انهض! اهتزت كتفا فرانسيس ، ولوح بقبضته فى الهواء لكن ظلت عيناه مطبقتين . بدت الحجرة مظلمة فجأة فى عينى بيتر ، وساد انطباع بأن طائرا ضخما ينقض فوقه ، فصاح مرة أخرى :

- انهض

سطع الضوء الفضى من جديد ، ولطم المطر النافذة . فرك فرانسيس عينيه ، قال :

- هل ناديتنى ؟

فى ثقة أجابه بيتر : أكنتَ فى كابوس ؟

التجربة والخبرة أكدتا لبيتر إلى أى مدى تتواصل أفكارهما ؛ كان يكبر أخاه ببضع دقائق . هاهو الضوء ينساب بينما لايزال أخوه يصارع الألم . أما هو فالظلام لا يقلل من وثوقه بنفسه ، وحمايته لأخيه الذى يخاف العديد من الأشياء .

قال فرانسيس :

- لقد حلمت بأننى رحلت عن الدنيا !

سأله بيتر بلهفة : ماذا كان الحلم ؟

قال فرنسيس وعيناه تشعّان بالطمأنينة لانبثاق ضوء النهار الفضى الذى أذهب بقايا ذكرياته الأليمة :

- لا أستطيع أن أتذكر . .

- أكنت تحلم بطائر ضخم ؟

- حقا ؟

إنه يتلقى مايقول أخوه بلا نقاش ! لبرهة قصيرة ساد الصمت بينما كانا يحدقان فى بعضهما البعض . نفس العيون الخضراء ، والأنف الطويل المدبب ، والشفاه المضمومة ، والذقن .

إنه الخامس من يناير . عاد پيتر يفكر وذهنه يتردد بين صورة التوتر والجوائز التى ربما وفق فى حيازتها فى مسابقات :

[البيضة والملعقة ، اصطياد التفاح بالشوكة من أحواض الماء ، وعصا الضرير] .

قال فرانسيس فجأة : لا أريد الذهاب ، فإننى أتوقع حضور چويس ومابل وارين .

إنه يبغضهما لصلتهما بالحفل . إنهما تكبرانه ؛ فچويس فى الحادية عشرة ، ومابل فى الثالثة عشرة وهما يتماديان فى السخرية منه إلى أقصى حد ، ولايكفان عن هزّ ذيولهما الخنزيرية ، فيشعر بالخزى وهما يراقبانه باحتقار وهو ممسك بالبيضة فى حيرة !

أشاح بوجهه بعيدا عن پيتر ، وخداه يتوردان . سأله پيتر :

- ما بالك ؟

- لا ، لا شيء ؛ أصابنى البرد . . ويجمل بى ألا أذهب إلى الحفل . احتار پيتر ! قال :

لكن يافرانسيس ، أهى نوبة برد شديدة ؟

- ستكون كذلك لو ذهبت ، وربما لقيت حتفى .

بلهجة حاسمة قال پيتر :

- إذن ، لست مضطرًا للذهاب .

شعر فرانسيس بأعصابه تؤوب إلى السكينة . راحة لذيذة

تأهب ليدع لبيتر كل شىء . لكن رغم امتنانه لبيتر فإنه لم يتحول بوجهه إليه . لايزال خداه يهتزان للذكرى المخجلة عن لعبة الاستخفاء فى المنزل المظلم العام الماضى » وعن صراخه حين وضعت مابل يدها فجأة على ذراعه . لم يكن قد سمعها وهى قادمة ، وهكذا العهد بالبنات ؛ فأحذيتهن لاتدب على الأرض ، ولاتئن الألواح الخشبية للأرض تحت ثقلهن ، فيتسللن كالقطط فوق الوسائد !!

حين أقبلت المربية بالماء الساخن ؛ كان فرانسيس يرقد فى سكون تاركا كل شىء لبيتر . قال بيتر :

– أيتها المربية ، فرانسيس مصاب بالبرد .

جمعت المرأة الطويلة الصارمة الفوط ووضعتها فى وعاء الغسيل دون أن تلتفت ، وقالت :

– لن يجهز الغسيل قبل الغد ، وعليك أن تعيره بعض مناديلك . .

سألها بيتر : لكن ، ألا يجمل به أن يظل فى فراشه؟

قالت : سوف نصحبه فى نزهة رائعة هذا الصباح ، وستتكفل الريح بدفع الجراثيم بعيدا . هيا انهضا الآن . وأغلقت الباب خلفها .

قال بيتر بانزعاج وهو يراقب وجه أخيه الذى كساه البؤس والأسى : لِمَ لا ترقد وحسب ؟ سوف أخبر أمنا بأنك شديد

الإعياء ولا تقدر على النهوض . لكن فرانسيس عاجز عن المقاومة ، أضف إلى ذلك أنه إن مكث فى الفراش لفحصوا صدره ، ولوضعوا الترمومتر فى فمه ، ولنظروا فى لسانه ولاكتشفوا أنه يتمارض . صحيح أنه يعانى المرض ، ويشعر بفراغ معدته وبضربات متلاحقة فى قلبه لكنه يعرف أن السبب هو خوفه ؛ الخوف من الحفل ومن إجباره على الاختباء فى الظلام بعيدا عن بيتر ، بدون بصيص من الضوء . قال فى يأس مفاجئ :

- كلا ، سوف أنهض ، لكننى لن أذهب إلى السيدة فالكون. أقسم بالكتاب المقدس أننى لن أفعل ، وكل شىء سيكون على ما يرام .

راح يفكر : إن الله لن يرضى بأن يحنث فى قسمه وسيهديه إلى الصراط المستقيم . أمامه النهار بطوله إلى الساعة الرابعة . لا داعى للانزعاج الآن فالعشب لا يزال نديا ، وقد يحدث شىء كأن يصاب بجرح أو تنكسر ساقه أو يصاب ببرد شديد . . . إنه شديد الإيمان بالله ، وحين قالت أمه على مائدة الفطور :

- سمعت أنك تعرضت لنوبة برد ، يا فرانسيس ، عليك بالاحتراس ، آه لو لم تكن الحفلة الليلة .

افتعل فرانسيس ابتسامة من التعجب والفزع لتجاهلها له . كم كانت سعادته تكمل لو لم يقابل فى نزهته الصباحية جويس . . ! كان وحده مع المربية ؛ إذ غادره بيتر ليجهز قفصا للأرانب فى عشة الطيور ، لو أن بيتر كان موجودا لما اكترث

للأمر ، لكنهم يخشون أن يتركوه وحده ، هذا فى حين أن چويس تكبره بعامين وهى حرة طليقة .

أقبلت نحوه بخطى واسعة كالوثب ، وذيلها الخنزيرى يهتز . نظرت إليه باحتقار وقالت للمربية مباهية :

– مرحى أيتها المربية ! أتنوين إحضار فرانسيس إلى الحفل هذا المساء ؟ إننى ومابل قادمتان !

وابتعدت بعدها متجهة إلى بيت مابل وارين وحدها فى ثقة تامة ، فى الطريق الطويل الذى يخلو من المارة .

قالت المربية : بنت ظريفة . .

لكن فرانسيس صمت . يشعر بضربات قلبه متلاحقة من جديد ، وأيقن أن الحفل وشيك ، وأن الله قد تخلّى عنه . ها هى الدقائق التى أعدَّها ليتجهز فيها للحفل قد تلاشت . قهره العذاب . وجد نفسه يقفُ على عتبة الباب وياقة معطفه مرفوعة اتقاءً للريح الباردة ، بينما بطارية المربية اليدوية ترسم حدودا يسيرة للضوء خلال العتمة . خلفه أضواء البهو وصوت خادم تعد المائدة للعشاء الذى سيتناوله والداه وحدهما ، كان موشكا على أن يعدو راجعا إلى البيت ليخبر أمه بأنه لا يريد الذهاب إلى الحفل ، لكنه لا يجرؤ على الذهاب إلى الأم ؛ إن حاجز الجهل يحمى عقله من ثرثرة الوالدين !

[أنا خائف من الذهاب . لن أذهب . لا أجرؤ على

الذهاب . إنهم يجبروننى على الاختباء فى الظلمة ، وأنا أخشى الظلمة . سوف أصرخ وأصرخ وأصرخ] .

حين كاشف أمه بأنه لا يريد الذهاب ؛ ارتسم تعبير من الدهشة على وجهها ! قالت : لا تكن سخيفا ! لابد أن تذهب ؛ لقد قبلنا دعوة السيدة حنة فالكون !

لكن ، لن يجبروه على الذهاب ؛ ها هو يتململ على عتبة الباب ، بينما تعثرت قدم المربية فى العشب وانطفأت البطارية . آه ، إنه يعلم زيف أولئك الكبار العقلاء ؛ يعرف أنهم تعلموا ألا يخافوا الموت ، لكن لماذا لا يخوضون فى ذكره ويتجنبونه ؟ [**سوف أصرخ وأصرخ وأصرخ**] . سمع صوت المربية ورأى دائرة الضوء ثانية تنتقل بين الأشجار .

- هلم يا فرانسيس .

أجاب فى يأس وهو يخطو إلى البهو :

- إننى قادم .

إنه ضئيل وهو يخطو باتجاه هيكلها الضخم كالثور ، دق قلبه بعنف ، أخيرا وجد لسانه يقول :

- مساء الخير يا سيدة حنة فالكون ، كان لطفا منك أن تطلبى منى الحضور إلى الحفل ، ورفع وجهه المكدود ونظر إلى صدرها الضخم ! كان أشبه بعجوز ذابل ؛ إنه (*) قليل الاختلاط

(*) فرانسيس .

بالأطفال ، وهو مجرد طفل ، وپيتر توأمه ، وحديثه إليه كالحديث إلى المرآة ، إلى صورته الباهتة فى المرآة ، لوحت السيدة حنة فالكون بذراعيها للأطفال وهى تقول :

- أطفال رائعون !

تسوقهم أمامها سريعا إلى برنامجها المسلى : سباق البيضة والملعقة ، سباقات الحجل على ساق واحدة ، اصطياد التفاح ؛ ألعاب لا تشكل أى تسلية لفرانسيس . فى الاستراحة يستطيع فرانسيس أن يخطط لمواجهة الرعب القادم له من الظلمة . إنه يعلم ألا مبرر لخوفه من الظلمة ، لكن لا حيلة له فى الأمر .

انتبه إلى صوت چويس يدوى :

- بعد الشاى سنلعب لعبة الاستخفاء فى الظلام ، قال پيتر وهو يراقب وجه أخيه وقد ساده الاضطراب :

- كلا ، كلا ، لن نلعبها ! إننا نلعبها كل سنة !

صاحت مابل وارين :

- لكنها فى البرنامج وقد رأيتها بنفسى وأنا أطل من فوق كتف السيدة حنة فالكون ، شاى الساعة الخامسة ، ومن السادسة إلا الربع إلى السادسة والنصف لعبة الاستخفاء فى الظلام ، كله مكتوب فى البرنامج !

لم يناقش پيتر الأمر ؛ مادامت اللعبة ضمن البرنامج فلن يقدر أحد على المعارضة ! طلب قطعة تورتة أخرى وراح

يحتسى الشاى فى تؤده . ربما أمكنه تأخير اللعبة ربع ساعة ليتيح لفرانسيس أن يضع خطته ، فشل بيتر لأن الأطفال شرعوا فى مغادرة المائدة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة . مرة أخرى حين بدأ فى التخاطب الذهنى مع أخيه فوجئ بالطائر الضخم يحجب وجه أخيه بجناحيه ، التهم قطعة التورتة وقد تذكر العبارة التى يقولها الكبار : [لا داعى للخوف من الظلام] .

كان الأخوان آخر من غادر المائدة إلى البهو ليصطدما بعينى السيدة حنة فالكون الناريتين القلقتين . قالت : والآن إلى لعبة الاستخفاء فى الظلام ، راقب بيتر وجه أخيه و كما توقع فقد زمّ شفتيه ؛ إنه يخشى هذه اللحظة من بداية الحفل . حاول أن يواجهها بشجاعة ، ثم نبذ الفكرة .

ها هى صيحات الأطفال تنطلق :

- أوه ، فلنبدأ .

- علينا أن ننقسم إلى عسكر وحرامية .

- فلنبحث عن الأماكن الخالية فى المنزل .

- أين سيكون التجمع النهائى ؟

قال فرانسيس وهو يركز بصره على ثديى السيدة الرجراجين :

- أحسب أنه لا داعى لأن ألعب فلا تلبث المربية أن تنادينى .

قالت السيدة دون تفكير وهى تصفق لتستدعى الأطفال :

- آه ، لكن تستطيع الدادة أن تنتظر يا فرانسيس .

كانت تلك آخر محاولة لفرانسيس للإفلات ، وهو لم يتوقع أن تبوء تلك الخطة المحكمة بالفشل ! ظل واقفا بلا حراك ، ووصلت مخاوفه إلى ذهن أخيه بيتر فقال للسيدة حنة :

- معذرة ، لا أظن فرانسيس متأهبا للعبة ؛ إنه يكره الظلام .

أخطأت كلماته المرمى ، فهاهم الأطفال ينشدون :

- كاستر جبانة ، جبانة !

ويسلطون أبصارهم على فرانسيس كما يتحول عبّاد الشمس إلى الشمس أنّى تكون ، فقال فرانسيس دون أن ينظر إلى أخيه :

- بالطبع سوف ألعب ، لست خائفا ، فكرت وحسب في . . . لكنهم كانوا قد فارقوه وتحلّقوا حول السيدة حنة وصيحاتهم تندلع متسائلة مقترحة .

- أجل ، في أى مكان في المنزل ؟

- سوف نطفيء كل الأضواء . .

- أجل ، ممكن أن نختبيء في الدولاب .

- يمكنك الاختباء لأطول مدة . .

ظل بيتر كذلك منعزلاً ، خجلاً من نفسه فقد خذل أخاه . إنه يحس بإحساسه خلال المخ : استياء فرانسيس من شجاعته جرى أطفال عديدون على السلم . انطفأت أضواء الطابق

العلوى ، حلّ الظلام وكأن الخفاش يفرد جناحيه ليحط على الأرض . سرعان ما جلس الأطفال الآخرون القرفصاء تحت الثريا منتظرين فى شبه دائرة . كانت إشارة الانطلاق أن تنطفىء أضواء الطابق السفلى فينطلقون للبحث عن الأطفال فى الطابق العلوى . . .

قالت بنت طويلة :

- عليك يافرانسيس أن تبدأ بالاختباء ، ثم انطفأ النور . تحركت السجادة تحت الأقدام . بدأ الزحف المحموم للاختباء والبحث .

تساءل پيتر :

- أين فرانسيس ؟ لو أننى معه لذهب خوفه . .

وقف پيتر فى وسط الطابق المظلم المهجور . لم يبادر بالتصنت ، بل إنه ينتظر أن يوافيه أخوه بفكرة ، فرقع فرانسيس بإصبعه قرب أذنه . . انغلقت العيون وبدأ العقل يتبلد . سمعا صوتا يقول :

- نحن قادمون . .

ما إن سمع فرانسيس الصوت ارتجف . شعر پيتر بالرجفة ، إنه يتواصل مع أخيه الآن . فى ذهن أخيه عذاب يشتعل ، والأفكار تتصارع . تساءل پيتر :

- لو كنت مكان فرانسيس فأين أختبىء ؟

لم يلبث أن عثر على الإجابة : بين خزانة الكتب والأريكة الجلدية فى حجرة المكتبة . لم يندهش من سرعة التوصل إلى الإجابة ، فبين التوءم لا توجد مشكلة فى التخاطر ؛ لقد ولدا فى رحم واحد ولا يمكن فصلهما .

على أطراف أصابعه انطلق تجاه المخبأ . بالطبع صرّ اللوح الخشبى تحت قدميه ، فانحنى وخلع نعليه وتسحّب بالجورب . الآن لن يسمع أحد خطواته وهو يتحرك بخفة وسكون نحو غايته . تحدثه غريزته أنه قرب الجدار . مد يده فلمست أصابعه وجه أخيه ! لم يصرخ فرانسيس ، لكن قفزة قلبه تنم عن الخوف . همس لأخيه :

– كل شىء على ما يرام . .

ظلت أصابعه تتحسس حتى التقت بيد أخيه فأحكم قبضته عليها . تابع يقول :

– إنه أنا ، سأظل معك .

لمست يد غريبة خزانة الكتب قرب رأس بيتر ؛ شعر بيتر بالرعب ، ليس رعبه هو ، بل رعب أخيه . الظلام لا يعدو بالنسبة إليه هو إلاّ غيابا للضوء لا أكثر .

لم ينطق ، فاليد الغريبة تتلمس سبيلها لتعثر على ضالتها وهو على اتصال بأخيه . ينقل إليه أفكاره :

– أنا هنا فلا داعى للفزع فسرعان ما تعود الأضواء ، سوف

يتعبون من ملاحقتنا . إنهم بدأوا يتهامسون ، تعبوا من البحث عنا . سنفوز . أنصت إنهم يبحثون عن الأضواء . علت صيحات الأطفال فى حماس :

- أين فرانسيس ؟

- هل بحثتم عنه فى الطابق العلوى ؟

لكنهم سكتوا حين سمعوا صرخة السيدة حنة ! لم تكن أول من وصل إلى مخبأ فرانسيس وهو منهار أمام الجدار تحت لمسة أخيه ، ظل بيتر قابضا على أصابع أخيه المتيبسة فى حزن عميق .

ليس ثمة شك فى أن أخاه قد مات ؛ كان أصغر من أن يستوعب الموقف بأكمله ؟ إنه يتساءل فى إشفاق : لماذا كان نبض أخيه لا يزال يتتابع فى سرعة بينما فرانسيس الآن حيث أخبروه من قبل ، فى مكان لا يعرف الخوف أو الظلمة ؟

* * *

الدوقة والجواهرى

قصة : ڤرچينيا وولف

عاش أوليڤر بيكون فى الجزء العلوى من منزل مطل على « جرين بارك » ؛ شقة ضخمة ومقاعد وثيرة ، وأرائك مبثوثة فى أرجاء الحجرات ، مزدانة بالرسم والأشكال . أما نوافذ الشقة الثلاث فلها ستائر من الحرير الفاخر . غصت الأرفف بالأنبذة : براندى ، ويسكى ، وشمبانيا . تطل النوافذ على الأسطح اللامعة للسيارات الفخمة المصطفة فى شوارع بيكاديللى الضيقة .

لا يمكن للخيال أن يصل إلى ذلك الموقع الرئيسى . فى الصباح فطوره جاهز على صينية يقدمها خادم ، والخادم يطوى له كمى معطفه القرمزى ، ويفتح له رسائله بأظافره المدببة الطويلة فيحيط بأخبار الدوقات والكونتات والفيكونتات والسيدات الجميلات ، ثم يقوم هو ويغتسل ، ويأكل الخبز المحمص ، ويقرأ صحيفته على ضوء نار المدفأة المتأججة . .

ويقول لنفسه :

عليك أن تتماسك يا أوليڤر ، يا من بدأت حياتك فى زقاق ضيق ، أنت يا من . . . ثم ينظر إلى ساقيه فى بنطلونه الجديد ، وإلى حذائه البرّاق . البنطلون من قماش بديع وقد حاكه أشهر ترزى فى سافيل رو ، لكنه يعود إلى تأمل نفسه عارية ، صبى ضئيل مهزول فى الزقاق المعتم . ذات مرة كانت غاية طموحه أن يبيع الكلاب المسروقة للسيدات المتحذلقات فى هوايت شابل . ذات مرة فعلها فراحت أمه تولول وتندب حظها :

– آه ، يا أوليفر ، آه ، يا أوليفر ! متى سوف تحس يا ولدى ؟

بعدها تاجر فى الساعات الرخيصة ، وحمل حقيبته إلى أمستردام ؛ كان يسخر ، وهو يستعرض شريط الذكريات ، من أوليفر الصغير ! أجل ، لقد أثرى من ثلاث لآلئ ومن عمولة مجزية من زمردة باعها .

انطلق داخلا إلى الحجرة الخاصة فى خلفية المتجر فى هاتون جاردن ، حيث الموازين والخزانة ، والعدسات المكبرة ، بعدها ، بعدها . . .

عاد إلى السخرية ، حين اجتاز المصاعب التى يمر بها الجواهريون فى الأمسيات الحارة وهم يناقشون الأسعار ، ومناجم الذهب واللآلئ ، والتقارير التى ترد من جنوب أفريقيا ، قد يضع بعضهم إصبعه فى أنفه ويهمس وهو يمر : هم . . . ممم . . .

ليس أكثر من همهمة ، أو وكزة فى الكتف ، أو إصبع فى الأنف ، أو شائعة تنتشر بين جماعة الجواهريين فى هاتون جاردن ذات مساء حار ، أوه ، كم مرّ من السنين الآن . . !

لا يزال أوليفر يشعر بها تطن فى أذنيه : الهمسات ، الوكزات ، و . . .[**انظروا إليه ، أوليفر الجواهرى الشاب ، ها هو سائر . . .**] .

كان وقتها صغيرا ، بدأ يرتدى الثياب الفاخرة والقبعة

الأنيقة ، ويقتنى سيارة ، ويرتاد بيوت الأزياء والمسارح ، وأصبح له فيلا فى ريشموند مطلة على النهر ، ولها سياج من الورود الحمراء اعتادت سكرتيره الشابة أن تقطف إحداها كل صباح لتعلقها فى عروة سترته .

قال أوليفر وهو يمد ساقيه أمامه :

وهكذا ، وهكذا . . .

ثم توقف عند صورة السيدة العجوز فى الإطار ، ورفع يديه وقال :

لقد حافظت على وعدى ، وكسبت الرهان .

إنه أغنى صاحب صاغة (جواهرى) فى لندن ، لكن أنفه كان يزعجه ، فهو طويل ومفلطح كخرطوم الفيل ، وقوة الشم عنده قوية كالخنزير البرى الذى يشم رائحة الكلأ تحت الأرض . لا يزال أوليفر يشم عبير الأرض الخصبة فى ماى فير .

ها هو يتحسس اللؤلؤة فى رباط عنقه ، ويصلح من هندامه ، ويلتقط قفازيه وعكازه ، ويتمايل وهو نازل الدرج ، نصف ساخط على أنفه الضخم وهو يمضى إلى بيكاديللى . .

يتمايل بخفة وهو سائر ، كالجمل يتأرجح على الجنبيْن فى حديقة الحيوان ، يسير فى الممرات الممهدة ، حيث يحتشد البقالون وزوجاتهم يأكلون طعامهم من الأكياس الورقية ويلقون بالأوراق الخالية على الممرات .. الجمل يكره البقالين ،

ويزدرى حمولته ، ويرى البحيرة الزرقاء ، ومجموعة النخيل قبالتها .

ينحدر الجواهرى الكبير إلى بيكاديللى فى أكمل زينة ، مختالا بقفازيه وعكازه ، إلى أن يصل إلى المتجر الصغير المعتم ، الشهير فى فرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا وأرجاء أمريكا ، المتجر المعتم فى أحد الشوارع الفرعية من بوند ستريت .

كالعادة يسير بخطوات واسعة صامتا ، مارا بالرجال الأربعة ؛ الكهلين : مارشال وسبنسر ، والشابين : هاموند وويكس .

نهضوا جميعا ينظرون إليه فى حسد ! دخل وأغلق دونه باب حجرته الخاصة ، ثم أزاح رتاج النافذة ، فتسللت إلى أذنيه صيحات بوند ستريت ، وزمجرة المرور ، والأضواء تنعكس على الحجرة . لمح الشجرة ذات الورقات الخضراء الست . الوقت يونيو . لم تعد الفتاة السكرتيرة تعلق الوردة فى عروة سترته ؛ فقد تزوجت صاحب مصنع الجعة .

تأوه ، وصهل ، قال لنفسه : وهكذا ، وهكذا . . .

ضغط زرا فى الحائط فانفتح باب سرى خلفه الخزائن الست الصلبة ؛ كلها من الصلب المصقول ! أدار مفتاحا فى كل خزانة فانفتحت جميعا ، فى كل خزانة قطعة لباد كثيفة من المخمل القرمزى ، بداخلها حلى ، وأساور ، وقلادات وحلقات وتيجان

وأكاليل ذهبية ؛ أحجار نفيسة فى علب ، ويواقيت وزمرد ، وماسات ، ولآلئ . . كلها تتلألأ ، بل تتوهج كالحريق وتشع أضواءها فتبهر العيون وتغشى الأبصار .

قال أوليڤر وهو ينظر إلى اللآلئ : دموع !

وقال وهو يرمق اليواقيت : دم القلب !

وقال وهو يحدج الماسات : بارود . . يكفى لنسف ماى فير . . عاليا ، عاليا ، عاليا !

وألقى رأسه إلى الخلف وهو يصهل كالجواد .

رن التليفون فوق الطاولة بصوت لا يكاد يسمع ، فأغلق الخزانة ، وقال : بعد عشر دقائق وليس قبلها .

جلس إلى مكتبه وهو يتطلع إلى صور أباطرة الرومان المنقوشة على أكمام سترته ، مرة أخرى إذا به يتعرى ويصبح الصبى الضئيل يلعب البلى فى الأزقة ، حيث كانوا يبيعون الكلاب المسروقة فى أيام الآحاد . كان ذلك الصبى الضئيل المراوغ الداهية الذى يدس أصابعه فى طشوت أمعاء الحيوانات وفى أوانى السمك . والذى يروغ فى الزحام ؛ كان نحيلا ، رشيقا ، مفتوح العينين كالصخرة الملساء .

ها هو الآن ، الآن وعقارب الساعة قد تحركت من الساعة الواحدة إلى الساعة الرابعة . . . والدوقة بانتظاره ؛ دوقة لامبورن سليلة مئات الأمراء ، تنتظر أن يأذن ويراها .

نظر إلى الساعة فى العلبة الجلدية ، كل دقة من الساعة تتيح له كأسا من البراندى أو الشمبانيا ، أو سيجارا يكلفه جنيها . . ومرت الدقائق العشر . . ثم صوت خطوات وئيدة رقيقة تقترب وحفيف ثوب فى الرواق . انفتح الباب وظهر هاموند يعلن :

- جلالتها . .

وانتظر لدى الجدار لا يريم .

نهض أوليفر ، فقد سمع بجلاء حفيف ثوب الدوقة وهى قادمة فى الممر ، ثم لاحت لناظريه عند الباب يسبقها شذا عطرها الفوّاح وخيلاء وكبرياء وتعال وهى تلوح بيديها .

جلست فى أنفة أمام أوليفر بيكون ؛ أعظم جواهرى ، وسط خليط من الألوان الخاطفة : أخضر ، وردى ، بنفسجى ، ألوان قوس قزح ، وبأصبع تومئ إلى الرياش الفاخرة ، والحرائر كانت على بدانة ، ضخمة ، تتحرك فى ثوب حريرى وردى ، تحمل مظلة مرسوم عليها طاووس يزهو بريشه البراق ، طوتها وهى تجلس فى المقعد ذى الذراعين قائلة :

صباح الخير يا سيد بيكون .

ونزعت قفازها الأبيض ، فانحنى أوليفر وتناولها ، وشرعا فى المراوغة ؛ كانا صديقين وعدوين أيضا ! هو أستاذ فى المناورة وهى أستاذة ؛ كلاهما يحتاج للآخر ويخشاه ، كلاهما

يشعران بذلك كلما التقيا فى الحجرة الخلفية ، والأضواء الفضية تنعكس من الخارج ، وتبدو للعيان الشجرة ذات الست ورقات ، وضجة الشارع تصل إلى سمعهما عن بعد ، وخلفهما الخزائن .

قال أوليڤر برقة :

واليوم ، ماذا أقدم لك يا دوقة ؟

فتحت الدوقة قلبها واستخرجت من حقيبتها وهى تتنهد حزمة جلدية كالشريط الحريرى الأصفر ، ومن جوفها تساقطت اللآلئ : عشر للآلئ ، تساقطت متدحرجة على المكتب ، كبيض طائر سماوى .

قالت متأوهة : هذا كل ما بقى لى يا عزيزى بيكون ؛ كانت اللآلئ تتدحرج على المكتب براقة ، فى تألق خلاب . .

وتابعت فى أسى :

إنها لآلئ قلادتى . كل ما بقى لى . . !

انحنى أوليڤر . تناول لؤلؤة بين إصبعيه ، كانت مستديرة ومصقولة ، لكن أهى أصلية أم زائفة ؟ أتعاود الدوقة الكذب ؟ أتجرؤ ؟

رفعت إصبعا إلى شفتيها هامسة : آه لو يعلم الدوق . . ! ستكون مأساة ، يا عزيزى بيكون . . هل ستقامر من جديد ؟

مثل النحلة راحت تطن قائلة : ذلك الأفاق ، النذل . . !

أكان زوجها ذلك الرجل بارز الوجنتين ، النذل الدوق

بسوالفه الطويلة الذى أدمن المقامرة ، هل حقا لو يدرى بما تفعله يمزقها إربا ويطؤها بقدميه كالحشرة ؟

وتطلع أوليڤر إلى الخزانة وهو يفكر . قطعت أفكاره وهى تئن قائلة :

لأجل أرامنت ، ودافنى ، وديانا . . .

كانت الفتيات الثلاث أرامنت ، ودافنى ، وديانا هن بناتها الثلاث . . يعرفهن ومعجب بهن ، لكن ديانا وحدها هى معشوقته .

نظرت إليه ودموعها تنساب فوق خديها كاللآلئ ، تفسد زينة خديها الريّانين . قالت :

لقد استودعتك كل أسرارى ، ثم تابعت هامسة : يا صديقى الكهل ، صديقى الكهل . . !

وجد نفسه يردد خلفها بلا وعى :

صديق كهل ! صديق كهل !

ثم سألها : كم تريدين ؟

مسحت دموعها ، لآلئها ، وهمست : عشرين ألفا .

جسّ اللؤلؤة بين إصبعيه : زائفة هى أم أصلية ؟ سوف يقرع الجرس ، فيحضر موند أو سبنسر ويقول له : خذها واختبرها .

مد يده إلى الجرس فسألته قاطعة عليه الطريق :

أأنت قادم فى الغد ؟ سوف يحضر رئيس الوزراء بنفسه . . وتوقفت ، ثم تابعت : وديانا .

فارتدت يده عن الجرس . نظر إليها ، إلى خلفية المنازل فى بوند ستريت . لكنه رأى بدلا منها النهر ، وأسماك السلمون تتدافع ، ورئيس الوزراء ، وصورته هو فى صديره الأبيض ، ثم ديانا .

نظر إلى اللؤلؤة فى يده ، وكانت عينا الدوقة ترقبانه .

قالت فى توجع : عشرون ألفا بشرفى !

شرف أم ديانا ! سحب دفتر الشيكات واستخرج قلمه وكتب : عشرون . . . ثم توقف ؛ إن عينى السيدة العجوز فى الصورة ترمقانه ، عينا أمه . . . تحذرانه : أوليڤر ! كن فتىً حساسا لا مغفلا !

توسلت إليه الدوقة قائلة :

- أوليڤر ! أأنت آتٍ لقضاء عطلة الأسبوع معنا ؟

ها هو أوليڤر من جديد لا بيكون . . . وحده فى الغابة مع ديانا ، يمتطيان جوادين .

كتب : ألفا ، ثم وقع الشيك وناولها إياه :

- تفضلى !

انفتحت المظلة ، فنفش الطاووس ريشه . عم البهاء ، وعادت الخيلاء وهى تنهض عن مقعدها . والكهلان سبنسر ومارشال ، والشابان هاموند وويكس خلف الحاسب يرمقونه فى حسد وهو يقودها إلى الباب ملوحا بقفازه الأصفر ، وهى تحمل

شرفها : شيكا بعشرين ألفا من الجنيهات . . .بتوقيعه ، وتقبض على شرفها بإحكام .

أغلق أوليفر باب حجرته الخاصة وهو يتساءل :

- هل هى أصلية أم زائفة ؟

اللآلئ العشر على المكتب . حملها يفحصها بالعدسة المكبرة . .

هذا إذن كل نصيبه من الدنيا : العفن حتى النخاع ! تأوه وهو يرفع يديه كما لو كان يطلب العفو من السيدة العجوز فى الصورة : سامحينى . . . يا أماه !

إنه يعود الصبى الضئيل فى الأزقة ، حيث كانوا يبيعون الكلاب أيام الأحد . . .

همس وهو يضم راحتيه معا : لأنها ستكون عطلة طويلة !

* * *

العم چـيم

قصة : مارتن ريكتس

كان الضباب قد اشتد حين أزمع روبين العودة إلى البيت ؛ لقد أمضى فترة ما بعد الظهر فى ضيافة صديقة مايكل . الوقت قد تأخر وعليه أن يسرع إن حرص على الوصول فى موعد الشاى . .

أفزعه الضباب للغاية ، ولكى يبعد الخوف عن نفسه ودَّع مايكل ، وانطلق عبر الرصيف . لم يكد يخطو بضع خطوات حتى تكاثف الضباب من حوله حتى اختفى منزل صديقه عن أنظاره . شعر روبين بقشعريرة . حاول أن يعدو بيد أن كثافة الضباب حدَّت من سرعته .

دهمه برد فظيع . خلت الطرقات من المارة . لم يسمع صوتا لأى عربة على الطريق . أحاطه سكون عام غير مألوف . جاهد ليسرع فى عدوه ، وبعد دقائق ، وقد استحالت عليه الرؤية خشى روبين أن يكون قد ضل الطريق ، لكنه وجد نفسه أمام بوابات المنتزه العام . . . .

توقف وراح يطل إلى داخل المنتزه ، لكنه لم ير سوى الضباب المخيم بأرديته الباردة . أجفل من الدخول إلى المنتزه . فكر : لو أننى ذهبت عبر الطريق الجانبى لما وصلت فى موعد الشاى ، ولعنفته أمه ، ومن ثم فلا مناص من ولوج المنتزه . . .

برغم رعبه خطا روبين بلا تردد . كان فى سن العاشرة لكنه صبى جرئ ومقدام . فى غضون دقيقة كانت أبواب المنتزه قد

اختفت فى أحشاء الضباب . تطلع روبين حوله وهو يعدو . لم ير سوى الضباب . بدا كما لو أنه عدا لسنوات ، وسرعان ما احتبست أنفاسه ، فأركن إلى المسير . أين هى نهاية المتنزه؟

واظب على السير وهو يفكر : أى مكان فسيح هذا المتنزه . . هل أدرك نهاية المتنزه ؟

فجأة ، سمع روبين ضوضاء !

سمع صوتا يشبه رنين الساعة الدقاقة ينبعث من الضباب أمامه فكف عن المسير . كان المساء قد حل على الكون بعباءته الظلامية الداكنة . راح قلب روبين يدق خوفا حين تبين أن الصوت يعلو ويعلو ، وأن مصدره كان قادما باتجاهه . . !

حار روبين ، ماذا هو فاعل ؟!

فجأة راح يضحك . . . بشدة !

لقد كان مصدر الصوت كلبا هزيلا بنى اللون ، ولم يكن الصوت سوى وقع أقدامه فوق الممشى !

أحس روبين أن كابوسا قد انزاح عن كاهله . نظر إلى الكلب وهو يمر به ، وما أن تلاشى فى الضباب واصل روبين مسيرته إلى البيت . . . كان يفكر فى الكلب الهزيل فلم يفطن إلى الرجل الذى وقف أمامه فى الممر . . . توقف فى النهاية حين رآه .

بدا أن الرجل قد أتى من مكان مجهول ؛ الرجل طويل وذو

لحية ، وبوجهه تجاعيد كالأخاديد ، يرتدى بذلة من طراز عتيق . ابتسم لروبين بطريقة ودية وقال :

- مرحبا روبين ، لماذا أراك متعجلا ؟

- إن لم أسرع تأخرت عن الشاى . لكن كيف عرفت اسمى؟ زادت ابتسامة الرجل اتساعا . قال فى مرح :

- إننى أعرفك منذ مدة طويلة . أنت لم ترنى أبدا لكننى رأيتك مرارا . . اندهش روبين وسأله :

- كيف كان ذلك ؟

هزَّ الرجل رأسه ، قال وقد مس كتف روبين بيده :

- لا يهم كيف . حسن ، أنظلُّ واقفين نتجادل ؟

- لو تريد العودة إلى البيت عليك أن تسرع ، وإننى سائر معك بعض الطريق ، أومأ روبين موافقا فشرعا فى السير . دار بفكر روبين تحذير أمه إياه بألا يحادث الغرباء بَيْدَ أنه أحس أن ذلك لا يشمل الرجل ؛ إنه سعيد بصحبته فى ذلك الضباب الشنيع ، فقد انقشع عنه الخوف. . . .

سأله روبين :

- من أنت ؟

- إننى عمك چيم. . .

أثارته الإجابة ، فقال بانفعال:

- عمى چيم ؟! لا أعرف عمًّا بهذا الاسم !

– ألا تعرفنى ؟

ألقى الرجل بسؤاله وهما يسيران ، وعقب بسؤال آخر :

– هل سبق وشعرت بالخوف من الضباب ؟

– أجل ، لكن ذلك يحدث وأنا وحدى . . .

– هل تؤمن بوجود الأشباح ؟ عاودت القشعريرة روبين . أجاب بعصبية :

– لا أدرى . . . قال الرجل:

– إنك لم تقل الحقيقة ، أليس كذلك ؟ إننى أعرف أنك تؤمن بوجودها ، لكنك مرعوب منها لدرجة أنك لا ترغب فى التفكير فيها . أهذا حق ؟

– أجل . . .

– حسن ، لا تخف من الأشباح أو الضباب . .

– ولم لا أفعل ؟

– أظنك قرأت قصصا مفزعة كثيرة عن الأشباح الشريرة ، لكنها ليست شريرة . إنها أرواح مسكينة ووحيدة تسعى إلى من يحبها ويعقد الصداقة معها . . وابتسم ، وعاد يقول :

– وهى تعود فى أوقات معينة من السنة إلى الأرض لتنعم بالنظر إلى الأحياء . إنها تجئ فى جمع كبير كى لا تضل الطريق ، وتظل واقفة عن قرب . . توقف روبين عن السير وسأله :

- أتعنى أن هذا الضباب هو تجمع للأشباح فى مكان واحد؟
- هذا ما أعنيه تماما. . . .

فجأة عاودت القشعريرة روبين بقوة . انتفض بدنه ، فالضباب كثيف ومحدق به من كل مكان . أحس أن الضباب سيطبق عليه ويخنقه . بدا الضباب متوهجا بشكل مرعب . تخيل روبين أنه يمد إليه أياديه الثلجية فحرص على أن يظل قريبا من الرجل الذى يبعث فى نفسه الأمان . . .

حين شرعا فى السير من جديد قال الرجل :

- بالطبع هناك أشباح لها حظ طيب استطاعت أن تنفصل عن الضباب وأن تتخذ صورة ناس طبيعيين مثلنا . . . غمغم روبين فى اضطراب :

- لما . . ذا ، لماذا تخبرنى بذلك ؟

- لأننى أود ألا تخاف . أنت ترى أننى أحب أن أمنحك هدية نادرة وهى أن تفهم أن معظم الأشباح ودودة للغاية ، ولا تسعى إلا إلى صداقة الناس . .

كانا قد وصلا إلى نهاية المنتزه . . . . . استحثه الرجل وهو يمس ذراعه :

- عليك ألا تخاف يا روبين ، فليس ثمة ما يستحق الخوف تطلع روبين إلى وجهه فى محاولة لتصديقه . لكن ، كيف يعرف أنه يقول الحقيقة ؟

قال روبين :

- بيتى قريب ، فهل أنت قادم معى ؟

هز الرجل رأسه :

- لا ، فلا يمكن أن أذهب إلى أبعد من هذا ، فأسرع أنت يا روبين واعتن بنفسك . .

وكر على عقبيه وهو يبتسم ، وسرعان ما لفه الضباب . .

استدار روبين يلاحقه بنظراته ، ثم انطلق يعدو عائدا إلى بيته . . . . حيته أمه وقد ولج البيت من بابه الخلفى :

- مرحبا يا روبين ، حمدا لله بوصولك سالما ، لقد نهش القلق قلبى خوفا عليك من الضباب . .

- لقد كنت على ما يرام يا أماه . . .

أوشك أن يحكى لها حكايته ، بيد أنه أحجم خشية أن تلومه .

قالت :

- على أى حال وصلت فى الموعد المناسب . . .

قال وهو يتخذ مجلسه إلى المائدة :

- ألِىَ عمٌّ اسمه چيم ؟

- كان لك عم بهذا الاسم ، لكنه مات قبل مولدك بعامين !

كانت حجرة روبين التى ينام فيها فى مؤخرة البيت وتطل على المنتزه . بعد أن فرغ من الشاى انطلق روبين إلى حجرته وفتح نوافذها على المصراعين . فى الخارج وفى جوف الظلام

الضباب لم يزل كثيفا ومشبعا بالدخان .

خُيِّل لروبين أنه لمح المئات من الناس يدورون فى الضباب . رأى أحدهم ينظر باتجاهه وهو يبتسم ويلوح بيده قبل أن يتلاشى فى الضباب . . .

صاح روبين فى هواء الليل البارد :

- إننى سعيد بلقائك أيها العم چيم ، وأشكرك على الهدية ، ولن أخاف بعد اليوم !

* * *

مقبرة على بابا

قصة : ڤيسنت بلاسكو إيبانيز

قال المثال جارسيا : -اضطررت - تحت إلحاح الحاجة - إلى ترميم الكنائس بما تحوى من آثار ومبان صخرية ، ورحلت لفترة طويلة عن بلدى من أجل ذلك العمل . .

ذات مرة كلفت بترميم كنيسة بيلوس . وأثناء عملى مع بعض معاونى رحت أتسلى بغناء مقاطع من الأوبرات الشهيرة مثل عايدة وفاوست . دفع ذلك ببعض الجيران إلى أن يأتوا إلينا كل يوم ليراقبوا عملنا ، ومن بينهم نسوة معمرات ثرثارات لا هم لهن غير الوقوف بالساعات ، والخوض بالنقد لعملنا . .

كانت أرضية الكنيسة من قطع مستطيلة كبيرة من الحجر ، وفى الوسط صخرة كبيرة مستديرة فى مركزها حلقة حديدية تعانى من الصدأ . .

كنت واقفا على الصخرة ذات مساء أتساءل:

- ترى ماذا يوجد بالأسفل ؟!

وعمدت إلى الحلقة أجذبها ، وإذا بامرأة اسمها باسكوالا تدخل على وجهها أمارات الدهشة . .

أمضت باسكوالا إلى جوارى المساء على السقالة غير آبهة بالنسوة ، تحملق فى وجهى بحدة ، كما لو كانت تسألنى عما كنت أفعل بالصخرة ؛ إذ لم يسبق لأحدٍ أن فكر فى رفع الصخرة من مكانها !

أنهينا عملنا وأزحنا السقالة من مكانها قاصدين مغادرة

المكان ، وفى هذه اللحظة حاولت المرأة انتزاع سرى ، قالت :

- إن أخبرتنى بالحقيقة أحافظ على سرك يا عزيزى .

لم أجد بدًا من تلفيق حكاية خيالية ظريفة ، مع أخذ المواثيق عليها خمسا وعشرين مرة بأن تكتم السر.

أخبرتها أنني رفعت الصخرة بمفعول السحر الذى أعرفه وحدى ، وتحت الصخرة كانت ثمة دهليز قادنى إليه سلم خفى أفضى بى إلى عدد من الممرات .. من أحد الممرات انبعث ضوء خافت . حين وصلت إلى نهاية الممر أبصرت قنديلا قديما مشتعلا ، لا بد أنه كان موجودا من آلاف السنين ..

فى وسط الغرفة فراش من المرمر يرقد فوقه عملاق ذو لحية طويلة شهباء مغلق العينين ، وإلى جواره سيف ضخم مربوط فى عباءة فضفاضة تبرق كالذهب ، وعلى رأسه عمامة تكسوها اليواقيت والذهب ، على الفراش عدة جمل مكتوبة بلغة غريبة لا يعرفها سواى ، فقرأتها بكل يسر . « هنا يرقد على بابا فى القبر الذى شيدته لأجله زوجته المخلصة سارة وولده العزيز ... »

بعد شهر كنت فى مدينة « بلنسية » ، وسرعان ما علمت بما جرى فى بيلوس بعد أن غادرتها ... أفشت باسكوالا السر لزوجها ، فذهب إلى حانة البلدة وأذاعه ، فأصيب الكل بالذهول .. لقد عاشوا طوال هذه السنين ولم يعلموا بالأمر إلا بعد إن كشفه لهم غريب..

فى يوم الأحد التالى ، حين غادر القس البلدة الصغيرة مَدْعوًّا إلى الغذاء مع أصدقائه ، اندفع رهط من أهل البلدة إلى الكنيسة وهم يحملون القضبان الحديدية والحبال والأدوات الثقيلة ، لكن لم تتحرك الصخرة بوصة واحدة فصاحت بهم باسكوالا :

- تشجعوا وثابروا ، وتذكروا ما يوجد بأسفلها !

فازدادوا حمية واشتعلوا حماسة ، وبعد ساعات أفلحوا فى انتزاع الصخرة إضافة إلى جزء من الأرضية . . وانطلق أحدهم يهبط السلم على الدهليز مستعينا بحبل . . .صاحوا فى صوت واحد : ماذا ترى . . .؟! لكنه صعد وهو ينفض يديه فى حزن . . قال :

- لم أجد سوى أربعة جدران سميكة ، وأكوام من التبن العطن . .

صرخوا فيه وقد تجمعوا على حافة الفتحة :

- انظر حولك ، فتش بدقة . . .

هز كتفيه ولم يعلق. . . .

فانطلق سعير الغضب من عقاله ، ولاحقت ألسنة النسوة باسكوالا بأقذع الشتائم. . . .

وكانت ذروة المأساة والحظ العاثر حين عاد القس ورأى بعينيه ما حل بالأرضية ، فأعلن أنه سيغلق الكنيسة ويرفع الأمر

إلى أولى الشأن ، ولم يهدأ إلا وقد أقسموا أنهم سيعيدون إصلاح الأرضية وما أصاب الكنيسة من تلف على حسابهم الخاص . . .

سأل أحد الذين استمعوا الحكاية المثال جارسيا :

- هل عدت إلى هناك مرة أخرى؟

- لا بالتأكيد ، فقد قابلت بعض أهالى پيلوس فى پلنسية وعدوا الحكاية مزحة ، وأكدوا أنهم لم يكونوا من الذين اقتحموا الكنيسة ، وأنهم أصابهم الشك فى الحكاية ، ودعونى إلى زيارة البلدة وهم يبتسمون فى براءة الملائكة ، وفى أعينهم نظرة بما يعتمل فى قلوبهم من نوايا . . .

* * *

التعبير

قصة : جوزيه فرانسيز

طرق مدير المسرح باب حجرة الممثل بابلو هيريدا سائلا :

- أيمكنني الدخول ؟

- أدخل يا لوى .

وحوَّل الفنان الكبير نظره عن المرآة إلى المدير :

- تبدو فى غاية التعاسة يا لوى ، الجمهور قليل ؟

- قليل لدرجة أننا لن نقدر على الاستمرار يا صديقى ، ولا مناص عن الإعلان عن المسرحية الجديدة فى أقرب فرصة.

راقت المسرحية الجديدة لهيريدا ، لكن أزعجه المشهد الأخير ؛ فالشخصية الرئيسية تجرح بمدية وتنزف حتى الموت ، وعليه هو أن يؤدى فى نفس اللحظة العديد من التعبيرات تظهر على وجهه .

وافق هيريدا على المسرحية بعد إلحاح مدير المسرح وترك المسرح ، وسار فى الطرقات باحثا عن النماذج التى تخيلها المؤلف .

وجد هيريدا نفسه أمام حانة ، ففتح الباب ودخل ليشرب كأسًا من الخمر ، ومضى يرقب الناس فى الحانة ، ووجد فيهم ضالته من الشخصيات .

خرج من الحانة وخلفه شخصان أوقفاه وأخذا منه ما بحوزته من أشياء ثمينة وطعناه بمدية ، ثم ذهبا .

فتح هيريدا عينيه ، ووجد نفسه على سرير فى محطة

الإسعاف ؛ آلام فظيعة لا تحتمل . تذكر ما حدث له ، وكذلك التعبير الذى لم يك يتوقعه . صرخ هيريدا فى جنون طالبا مرآة . قال :

- إلىَّ بالمرآة ، أريد أن أرى وجهى !

* * *

البنات

قصة : مرينال باندى

في يوم رحيلنا إلى منزل الجدة بصحبة أمي كسر أبي جرة الماء . لا أدرى أفعلها عن عمد أم عفوا ، لكن الحجرة ، على أي حال ، غرقت في الماء.

رفعت أمي الساري ونادت أم سارو - وكانت في ذلك الحين تسترق السمع من حجرة مجاورة - لتكنس الحجرة وتزيل المياه ؛ إذ إنه لو حدث وانزلق أحدهم وانكسرت عظامه لأصبحت المشكلة عويصة .

بالنسبة لأمي كل شيء في الحياة مشكلة . بينما أم سارو تنظف الأرض تطلعت إلى أمي ، سألتها :

سترحلين هذه المرة لثلاثة أشهر على الأقل ، أليس كذلك ؟ وضعت أمي يديها على فخديها، بعد أن جلست القرفصاء ، كما لو أنها تزنهما ، قالت : بلى ، لن يسمحوا بعودتي سريعا. .

ونظرت باتجاهي وأمرتني بالخروج لألعب . اعتدت أن أظهر في الوقت والمكان غير المناسبين . في طريقي للخارج التقطت شظية من الجرة المكسورة . سمعت أمي تخاطب أم سارو قائلة :آمل أن يكون ولدا هذه المرة ، فإنه سيرحمني من تكرار الحمل - تخيلت أن أم سارو هزت رأسها وهي ترد :

ولم لا ؟ ولم لا ؟

حين وصلنا المحطة أسرعت مندفعة أصعد إلى القطار ، ألاطم الناس والحقائب لأحظى بمقعد إلى جوار النافذة .

أخرجت لسانى للجميع . صحت :

إى . . .إى . . .

حين لاحظت نظرات أمى الغاضبة رحت أنشد :

إملى ، إخ . . .

فى الحقيقة كانت أمى مشحونة بالمشاكل ؛ فعليها أن تعنى بالأمتعة ، والجرة ، وبثلاثتنا ، وبآلام الحمل . فى إحدى المحطات ابتعنا شطائر محشوة ، وبينما آكل شاهدت امرأة تعين طفلها على التبول فى النافذة التالية . أصابنى غثيان ، وناولت شطيرتى لأمى ، ورحت أجرش بعض البطاطس . كورت درنة بطاطس على هيئة حشرة فخافت أختى الصغرى . لطمتنى أمى فبكيت .

هاجت أختى الكبرى وصاحت : أوه ، يا لكم من مزعجات !

رغم هياجها أعرف أنها تحبنى حقا . . .

استقبلنا خالى بالمحطة ، وفى الطريق جلست بجوار زوجته وأنا ألمح الروبيات تترجرج فى شحمة أذنيها وهى تلتهم السودانى المملح .فى كل مرة يطلق السائق نفير العربة الچيب كنا ننطلق صائحات : بوو . . . . بوو. . . .

فيطرب السائق للغاية ، وحين وصلنا إلى المنزل رفعنى وأختى الصغرى وأخرجنا من العربة . . . كان ذا شارب كث

وتفوح من فيه رائحة الشاى والتبغ . . . يرتدى زيًا من الصوف الخشن دغدغ حواسى وجلب لى النوم . وحين حاولوا إخراج جرة الماء انقلبت وأغرقت المكان .

ذكرنى ذلك بأبى الغائب . خطوت وتعثرت . كشرت أمى عن أنيابها . صرخت : أنت سبب كل مصائبى . !

وشدت على ذراعى بقسوة حتى كاد كتفى ينخلع . فكرت فى أبى الذى لم يصحبنا مطلقا إلى منزل الجدة . بمجرد وصولنا انشغلت أمى بالأحباب والجدة والخادمات العجائز . إن حاولنا الاقتراب منها فى النهار لقالوا لنا : دعن المسكينة ترتاح وهى هنا . . .

تتظاهر أمى بالحزن ، كما لو كنا نرهقها للغاية فى البيت ، تلكأت فى الدخول إلى منزل الجدة . اختبأت خلف شجرة أُقْبِلُ كلبًا وراح يتشممنى . سمعت أحدهم يتساءل :

أين اختفت . . ؟

دخلت المنزل مع الكلب . رأيت الجدة جالسة وابن خالى فى حجرها .أبعدت الكلب ؛ فهى تكره لمس الحيوانات . انسحب الكلب وذيله بين ساقيه . سمعت من يأمرنى بالانحناء أمام الجدة ولمس قدميها . صاح شخص : ليس هكذا . . انحنى جيدا . إنك مولودة بنتا وستتعودين على الانحناء طيلة العمر ! عليك أن تحسنى التعلم !

باركتنى الجدة . مرت بيدها فوق ظهرى المحنى . قالت :

هذه البنت قصيرة ، فمن يصدق أنها بنت ثمانى سنين ؟ قرصت ابن خالى لكنه ظل يدور حولى كالأبله . كان ريانا ومليحا وطوله مناسبا لسنه . من يراه يظنه فى السابعة رغم أنه فى الخامسة . سألنى : - هل تحكين لى الليلة حكاية ؟

- أجبته بالنفى . تظاهرت بمطالعة الصحيفة .

- راحت أمى تشكو : يا له من إزعاج . . !

- قالت جارة عجوز ، أقبلت للترحيب بأمى ، لجدتى .

- ستنجب (لالى) هذه المرة ولدا بالتحديد انظرى على بشرتها ، فى المرات السابقة كان اللون ورديا ، ولكنه الآن مشوب بالصفرة . أنا واثقة أنها ستلد ولدا هذه المرة . . .

- قالت أمى بحزن وهى تقلم أظافرها :

- من يدرى ، لربما كانت أيضا . . .

- فقاطعتها العجوز سائلة :

- أهناك من يطهو لزوجك ؟ ردنى سؤالها إلى أبى ، ما أطيب ريحه وأدفأ حجره !

أمى منذ وصلنا لا تسمح لنا بأن نستلقى فى حجرها طويلا .

تشكو متذمرة :

- أف ! آه ! عظامى وهنت ، والسارى تكرمش ، انهضن الآن فأمامى عمل لا ينتهى ولم يبق إلا إزعاجكن البشع . انهضن وفارقننى !

تبسط الجدة يدها وتدعو :

أيتها الآلهة ، صونى عرضى ، ودعيها هذه المرة تعود من بيت أبويها بولد !

وتكفكف دموعها بطرف السارى . .

من زاوية عينى ألمح شقيقتىَّ نائمتيْن . نحن فى غرفة فسيحة من قسمين يفصلهما حاجز خشبى . فوق سريرى ساعة حائط كبيرة لا تكف عن الدق . قبل أن تعلن انقضاء ساعة زمن تصدر طنينا يماثل ما يصدر عن شقيقتى من غطيط .

انطفأت الأنوار ، وغمر الغرفة ضوء القمر . كانت القابلة تسكب الزيت على قدمى أمى قائلة :

لو أنه ولد هذه المرة فلى الحق فى سارى موشى بخيوط الذهب . .

حتى فى ضوء القمر الساطع ما استطعت رؤية وجه أمى ، بل بطنها المتكور الشبيه بقربة الماء . انزلق عنه السارى ويبدو أن القابلة مست موضع ألم فيه فتأوهت أمى كالبقرة العائدة من الحقل إلى الحظيرة : قالت :

لو أنه ولد فإننى سأرتاح من عبء الحمل إلى الأبد . . عليك الآن بالذهاب فأولادك بانتظارك . تأكدى من وضع وعاء الزيت تحت السرير وإلا أطاحت به إحدى البنات فى الصباح و . . . .

آه ، يا له من فأل سيىء !

حين لا تكمل أمى إحدى الجمل !

لماذا يكمل الكبار الجمل حين يتحدثون عن الأشياء السارة وحسب ؟

ثمة نجم يسطع فى السماء ، أهو نجم دروقا ؟

اعتاد والدى أن يردد أننى لو اجتهدت لاستطعت أن أكون ما أشاء مثلما تحول الإله دروقا إلى نجم . لكننى لا أستطيع أن أصير ولدا ، أأستطيع ؟

ذات مرة حدثته عن أمنيتى المستحيلة فأدهشنى رد فعله . نظرة شذراء ولهجة قاسية ! لا تتجادلى الآن مع الكبار . .

من الصعب أن أفهم الكبار ؛ أختى الكبرى تقول إن علينا ألا نثق بهم مطلقا لأنهم إن شاءوا أن يعرفوا شيئا انتزعوه منا عنوة أو احتيالا ، لكنهم لن يخبرونا بشىء . . هذا حق ، فلا أحد هنا يخبرنا بشىء . عندما نذهب لننام يشرع الكبار فى السهر ، وينطلقون مثل طاقية الإخفاء . كم أرغب فى السهر والسماع لكننى لا أدرى لماذا نمت فجأة !

يخيل إلى أننى سمعت صوتا يبكى ، لعلها خالتى ، إنها تقول لأمى : إننى هنا لا ألقى تقديرا يليق بكلبة .

أتساءل أنا أين عساها تجد معاملة أفضل . .؟

أسمع أمى تجيبها : كلنا مثلك نعانى ، وعلينا أن نتحمل ، ثم يأخذنى النوم .

في الصباح ، حين يفطرن أسأل أمي عن معنى « يتحمل » الذى ذكرته الخالة فاتلقى صفعة ، وتتوالى الصفعات ، هنا تسرع الخالة إلى نجدتى صارخة :

- دعيها ، إنها لا تعدو أن تكون طفلة . . !

- تقول أمي بغضب وبطنها يترجرج :

بل حيزبون ! إنها لا تكف عن التصنت علينا ، والله أعلم بما سيحدث بعدها . . . فى البستان أجد أختى الكبرى تجمع الأزهار . تلتفت وتقول لى : آه أنت . . . لقد حذرتك مائة مرة أن لا تسألى الكبار . إنك لو تستمرين على ذلك لضربوك حتى الموت .

- وأصرخ : لن أكف عن السؤال . لن . . أكف . .

- فتقول : إذن فأذهبى وموتى . . . لقد انتهت من جمع الباقة للجدة .

تقف جدتى إلى جوارها وتهتف بصوت داو :

إنكن زهراتى الثمينة . . .

فى الأمسيات أحكى للصغار حكايات مفزعة عن الأشباح والمردة الذين يعيشون فى جوف شجرة الجوز . أدعى أنهم لو صحوا فى منتصف ليلة قمرية لشاهدوا أطفالا يستحمون فى الدم ولسمعوا الأشباح يتحدثون من أنوفهم . يلاحقنى الأطفال فى المنزل كما يلاحق الفئران عازف الناى السحرى . . . .

تنفحنا الأم وزوجة الخال المال لنبتاع الحلواء بعد الظهر ،

لتتخلص منا . تلصقان الورق الأخضر على النافذة فى الغرفة حتى تتخلص من ضوء النهار . تغص الحجرة بالنسوة . يواصلن الأكل والحديث . لهن أذرع بضة وسيقان عارية بدينة وكروش . لماذا يحذِّرننا إذن من الكشف عن سيقاننا ؟

أقول :

إنكن تشبهن البقرات جميعا !

لكن لا أحد يسمعنى . تنتزع الخالة منى قطعة حلواء تمصها فى التذاذ قائلة : الحياة فعلا قصيرة . . .

تنفجر الضحكات من الحجرة . من ؟ لماذا ؟ كيف ؟. أتطلع فى أرجاء الحجرة ، لكن لا تشغل إحداهن بالها بنا ، فهن مستغرقات فى الحديث . .

أغادر الغرفة وأطرق الباب من الخارج بعنف ، لكن لا أحد يخرج ولا أحد يبالى . . .

قالت الخادمة لى وهى تحمل صينية عليها أكواب الشاى ، وتحاول دخول الغرفة : انزاحى . . . انزاحى . . هذا للكبار لا لك ، فانزاحى . . . ألقها كأنف الضفدع ، وحاجباها يتلاقيان ، وعندما تضحك يتهدل خداها مثل الخفافيش الميتة . . .

تقول من جديد : انزاحى . . . . . فأحاول أن أسد عليها الطريق وأقول بعناد :

- لن أنزاح إلا إن قلت إن البنات حلويات !

- على رسلك ، على رسلك ، ها أنا أقولها ، والآن أنزاحى . .

فأصر فى عناد :

- لا ، قوليها بطريقة أظرف !

تسأل زوجة الخال من داخل الغرفة :

- أوه ، هل سنشرب الشاى السنة القادمة ، أم ماذا ؟

- تقطب الخادمة حاجبيها وتقول :

البنت الوسطى تعاكسنى . . .

وتبدأ فى الضحك ، ويهبط أنفها الضفدعى ويعلو وأسمع ماما تذكرنى قائلة : بلا ريب ، فهى مولودة لتفسد حياتى وحسب ، تنصحها إحداهن بألا تغضب فى حالتها تلك .

أمكث خارج المنزل أرقب الطيور وأتمنى لو طرت مثلها أتساءل :هل للطيور أم تعاملها كالعبيد ؟

وأسمع صوتا ينادى ويقول : أين عساها تكون ؟

يبحث عنى ، وأتوارى خلف حائط ولا يقدر أحد أن يرانى أتمنى لو عثرت بثمرة الجوز السحرية وآكلها وأصبح خفية ، ما أجمل أن يحدث هذا ! فى المساء حين تنهى الجدة حكايتها تقول : الآن عليكن جميعا الذهاب للنوم . . .

نامت أختى الصغرى فحملتها الخادمة إلى حجرتنا . أطلب

من الجدة أن أنام بجوارها ، فبدنها ناعم دافئ ، واللحاف مشبع برائحة الحبهان والثوم ، وتحت وسادتها كشَّاف .

تقول الجدة : لا ، فالولد لا يفارقنى ولا يتسع المكان لكما معا . اذهبى ونامى بجوار أمك ، وسأحكى لك فى الغد حكاية أخرى ، اتفقنا ؟ يصير صوتها حنونا حين تلاطفنا . فى الغرفة الأخرى تسألنى أختى الكبرى وظهرها يواجهنى : هل وافقت الجدة على نومك معها ؟

تسألنى بغضب ، وأمى تغط ، والساعة تدق ، فكيف يمكننى النوم ؟ تك . تك. خرر.خررر !

تنادينا الجدة وفى يديها صينية مليئة بمسحوق قرمزى ، وأمامها صحن ملئ بالحلواء وطبق شطائر : أين أنتن يا بنات ؟

أعدت عدتها قربانا للإله ديفى فى عيده . ثمة سجادة مفروشة أمامها لنجلس عليها . . فى المبخرة أحرقت الكافور ليبدأ الاحتفال ، قالت : تعالين يا بنات لأرسم على جباهكن التكة الحمراء !

جلست أختاى وبنات الخال القرفصاء أمامها . رسمت الجدة التكة على جباههن ، ثم دقت الجرس ، ونفخت فى المبخرة . فجأة وجدتنى أتحول إلى قطار وأدور فى الفناء . بالداخل الغرفة تفح بروائح الكافور والحلواء والزبد والزهور . صحت : هلموا ادفعن الأجرة للذهاب إلى كلكتا . . .

بووو . . . فى الخلف سمعت الجدة تقول :

هلمى يا عزيزتى ، لأرسم لك التكة . .إنك حفيدتى الطيبة ، ألست كذلك ؟ أسرعت قائلة : إننى قطار . . .

صفق ابن خالى فى انفعال وقال :

- آه ، قطار ، قطار !

فجأة لمحت أمى تخطو قادمة وقبضتها مشرعة فى الفضاء ؛ تلوت أمعائى رعبا . وجهها مضرج بالغضب : سوف أنتزع منك هذا القطار فى الحال . . تدخلت الجارة العجوز . أمسكت قبضة أمى ، قالت : على أية حال إنها طفلة يا لالى . هل جننت ؟!

وغمزتنى لأطيع . أضافت : إنها الحفيدة المباركة ، واليوم عيد الإله ديفى . لا يصح أن تضربى المباركة ، إنها خطيئة !

قفزتُ مبتعدةً وقد شاهدت الجدة تحشو فم البنات بالحلواء . . . قالت الخالة لى فى غيظ : إذهبى وتناولى الطعام المبارك من الجدة . لماذا تدفعين أمك إلى الصراخ وهى فى حالتها هذه ؟

انفجرت باكية وأنا أغلى غضبًا حتى لأكاد ابتلع الكافور المتقد : منذ متى وأنتن تفضلن البنات ، ولِمَ التظاهر بأنكن تعبدنهن عبادة ؟ وضعت الخادمة يدها على خدها ، قالت مندهشة : عيب عليك يا ماريما ، إنك مثلٌ لغيرك من البنات . . !

توزع الجدة الروبيات على البنات ؛ لكل بنت روبية وربع

روبية . تقول : تستطيع كل واحدة منكن أن تشترى بهذا المبلغ عشرين قطعة حلواء . . . . وتمد لى يدها بنصيبى ، وهى مخضبة بالمسحوق القرمزى ، الذى يشبه الدم . . . أبدأ فى التراجع إلى الخلف باتجاه الحائط ، أصرخ : لا أريد أى حلواء ، أى تكة ، أى مال ! لا أبغى أن أصير إلهة !

وأصرخ ، وأصرخ حتى لتطير الحمامات التى كانت تلتقط الحب فى فناء المنزل مفزوعةً ، كما لو أن قذيفة انطلقت من مكان مجهول !

* * *

مدرس خاص جديد

قصة : شاشي بارجافا

كنت ارتدى الزى المدرسى ، وعلبة غذائى مدسوسة فى حقيبتى ، حين سمعت أمى تقول : يا بنى ، حين تعود إلى البيت عليك أن تنتهى من واجباتك بسرعة ؛ فالمدرس الجديد قادم .

نظرت إليها وقد شلت المفاجأة لسانى . لم تعد بى رغبة فى الذهاب إلى المدرسة ، لكننى قلت : حسن ، يا أمى . . .

وواصلت سيرى إلى البوابة ، وإذا بأختى ميرا تصيح بى : أسرع ، وإلاً فاتنا الأتوبيس !

- يالها من طيبةٍ أمى !!

- ألا تعلم أنه لا علاقة لى بما يدور فى الفصول ؟

إننى لا أنصت لمدرس ، وكل ما يشغل بالى الآن أن أمنياتى سوف تضيع هباء ! إن المدرس الجديد قادم ، ولن أكون قادرا على الخروج كل مساء ، واللعب بالكرة والمضرب !

فى الخامسة تسللت من البيت ، ومعى الكرة والمضرب . قلت فى نفسى : أنتهز الفرصة وألعب ، لكن واأسفاه ؛ هاهو رجل تملأ وجهه التجاعيد ، يدخل من البوابة ، حذاؤه المطاط يحدث صريرا فظيعا وهو يسير ونظارته السوداء تغطى عينيه ، لابد أنه المدرس الجديد ! ها هى أمى تنادينى صائحة ، فأسرعت أجتاز الشرفة إلى غرفتى ، يتبعنى المدرس بخطى بطيئة . لم يضيع المدرس وقته؛ فبعد أن أفرغت حقيبتى من

الكتب تناول المدرس كتابا منها ، وأمرنى أن أقرأ بصوت عال !

شرعت أقرأ ، ولكننى سمعت صوتا مزعجا ، إنه مدرسى قد نام وهذا صوت شخيره . . . توقفت عن القراءة ، وإذا بصوت آمر يقول : أقرأ بصوت عال . . !

هنا دخلت أمى الغرفة تحمل صينية عليها شاى وبسكويت ، فأنتبه المدرس من غفوته . .

أصبح مألوفا أن يجئ المدرس ، وأشرع فى القراءة ، وأسمع الشخير . . . ذات يوم قال المدرس : اليوم ستكمل الدرس ، وتستعد للإملاء . . .

قلت على مضض : لا بأس . . .

أحضرت أمى الصينية بالشطائر اللذيذة والشاى ، وسألت المدرس عنى ، فأجابها بأن الحال على ما يرام ، وعيناه معلقتان بالشطائر . . لكننى فى نفس الليلة أخبرت أبى بما يجرى ، فأوصى أمى بأن تراقب المدرس ، وسرعان ما أختفى المدرس من حياتى!

واأسفاه ، أقبل السيد « تريباتى » ليواصل الدرس معى ! شاب طيب . فى الليلة الأولى ناولنى قطعة حلوى ، ودس قطعة أخرى فى فمه الواسع . رمقت بنطلونه الچينز فى حسد ، وسألته : أين يمكننى أن أشترى بنطلونا مثله ؟

فإذا به يغضب ويطلب إلىَّ أن أصمت . . سألنى : أين الواجب ؟

فلما لم أجب عاد يسألنى : هل قمت بحل مسائل رياضية من قبل ؟ لزمت الصمت ، فصاح مُغْضِبًا ومُعنِّفًا :

- لماذا لا ترد أيها الحمق ؟

- لقد أمرتنى بأن ألتزم الصمت ، هل نسيت ؟!

حين أنهى شراب الشاى ، وبعد أن مضت ساعة زمن ذهب ، فى الليلة التالية خرجنا معا ، وتناولنا الآيس كريم . . وفى اليوم الثالث تقاسمنا الشيكولاته اللذيذة ، وكان يمطرنى بالأسئلة إلى أن تمر الساعة فيذهب .

حين تسلمت بيان الدرجات الشهرى وناولته لوالدى ليوقعه انفجر بركان غضبه :

- كل هذه دوائر حمراء؟!

وانتهى عهدى بالسيد « تريباتى » الشاب !

كان اليوم مطيرا ، وأنا واقف خلف نافذة غرفتى أراقب قطرات المطر تغرق الدنيا ، وإذا بها قادمة !

إنها « ساروج ديدى » ابنه ناظر مدرستى ، لقد رجاها والدى أن تأتى لتعطينى درسا خاصا فى البيت .

بدأت « ديدى » بقراءة الملاحظات المكتوبة فى كراساتى بالقلم الأحمر ، فقلت لها :

- لكم تبدين رائعة فى السارى الأزرق !

فابتسمت ابتسامة حلوة . عدت أقول:

- ابتسامتك جذابة ، فأى معجون أسنان تستعملين ؟!

واتسعت ابتسامتها عن ذى قبل : لكن حانت منى التفاتة إلى الكرة والمضرب فأحسست أن ألما يعتصر معدتى . بدأت أصرخ وأقول :

- معدتى تؤلمنى ، أين أنت يا أماه؟

أقبلت أمى تهرول ، وذهبت ديدى . .

لزمت الفراش ، لكننى بعد ربع الساعة كنت فى الفناء ألعب بالكرة والمضرب.

وفى اليوم التالى ربطت ذراعى حتى لا أضطر إلى الكتابة . . . وتعددت حججى ، وضاقت ديدى بى ، وذات مرة سمعتها تقول لأمى :

- إننى آسفة ، ابنك كسول ، ولا يصلح إطلاقا للتعليم ، ولن أعاود الحضور !

- وإذا بى أهرع إلى الشرفة قائلا لها بصوت يغلب عليه الحزن .

- وداعا يا ديدى !

كنت تحت الغطاء ذات مساء من شهر ديسمبر ، أتظاهر بمطالعة كتاب التاريخ ، وإذا بى أسمع نقاشا يدور بين الوالدين . . .

قال والدى بصوت مدو كالعاصفة:

- لقد أفسدت الولد بتدليلك !

نهضت أمي ، اقتربت من فراشي ، قالت وعيناها محمرتان!

- من الغد ستذهب إلى مدرسة جديدة . لقد أعددنا لك عربة ريكشو . . .

ها هو سائق العربة أمام البوابة . سأحمل حقيبة الكتب الثقيلة وأقذفها فى العربة ، ثم أركب . يا لها من متعة أن أجلس فى العربة الخشبية ، فتمضى بى فى خطوات بطيئة وسط السيارات والباصات والدرجات البخارية التى تنطلق فى سرعة الريح !

أمام منزل السيدة « شودرى » توقفت العربة ، كانت السيدة بانتظارى . قادتنى عبر السلالم إلى منضدة فى الشرفة . ها هى أشجار الليمون والموز تملأ حديقة المنزل أخرجت كتبى ، بينما انشغلت السيدة بالنظر فى الملاحظات المدونة فى كراساتى .

عاونتنى فى رسم وجه مضحك خلفه ورقة موز .

قلت لها :

- لقد رسمت وجهك يا سيدتى .

ضحكت ، تناولت الرسم وكتبت أسفله : جيد جدا .

ووقعت على الورقة . .

احمرت أذناى ، وأقبلت على حل مسائل الحساب . بعد فترة ، قالت المدرسة :

- فلتأخذ راحة . . . لدى بعض الآيس كريم . .

ونهضت ، وأحضرت كأسين ناولتنى واحدة وهى تقول :

- إنه من صنعى ، كل ، ثم قل لى رأيك . .

هتفت أقول:

- رائع !

لكن بدا أنها لم تسمع قولى . بعدها عاونتنى فى أداء واجب اللغة الإنجليزية . . فى اليوم التالى كان بانتظارى عصير الليمون . بابتسامة رائعة قالت :

- إنه ليوم جميل ، إبدأ بتناول كوب العصير الذى صنعته لك ، ثم قل رأيك !

رشفت رشفة وقلت :

- رائع للغاية ، ولذيذ !

لكنها لم تسمع ، ولم تعقب على قولى . . .

قالت بعد مدة :

- أريدك أن ترسم مرة أخرى !

قلت فى سعادة :

- بالطبع ، سوف أرسم واحدا الآن . .هل تحبين رسمى؟

- إنه رائع ومن نوع رسوم الكارتون . أنت ماهر فى الرسم ، لكن حاول أن ترسم أنفى بصورة طبيعية !

- سوف أرسم القرط الذهبى المتدلى من أذنك أيضا . .

انتهينا من واجب الرياضيات ، وقرأنا رحلات « فاسكودى جاما » ثم أقبل سائق عربة الريكشو يقول :

– هيا، لقد تأخرنا . . .

واأسفاه ! إن يومى السبت والأحد عطلة الدرس ، فمتى يجئ يوم الاثنين لأطير إليها ؟

فى يوم الاثنين الموعود عدت من المدرسة ، وانهمكت فى عمل الواجب . ها هى أمى تنادينى قائلة :

– أسرع لتناول غداءك ، ألم تغتسل بعد ؟

– أوه ، الواجب طويل ، ولم أنته من نصفه بعد !

تناولت طعامى بسرعة ، ثم عدت إلى غرفتى لأنهى الواجب ، ثم هرولت إلى البوابة واندفعت داخل عربة الريكشو . . .

قلت للسيدة :

– موضوع القراءة اليوم عن حمار أراد أن يقلد حيوانات الغابة . . قالت :

– لنقرأ الحكاية كلها ، ثم نتحدث . .

ونهضت إلى المطبخ ، وأحضرت طبقين ؛ بكل طبق قطعتان من الكيك .

قلت لها :

– هل الكيك من صنعك ؟

– نعم ، ولو أعجبتك أزيدك منها !

قلت فى حماس :

- سيدتى ، لقد حدث شىء فى حياتى .. شىء رائع !

- ما هو ؟ فلنتحدث عنه ..

- إنه عن المدرسين ؛ كانوا يأتون إلى بيتنا ليأكلوا الأشياء التى تعدها أمى ، أما هنا فأنت تقدمين لى الطعام والحلوى و.....

قاطعتنى بضحكة عذبة ، فتابعتها فى الضحك بمنتهى السعادة !

* * *

قصاصة

قصة : تشيكوف

عندما تقاعد المستشار « كوزيروجوف » من عمله ابتاع بيتا فى الريف واستقر فيه هناك - وتقليدا لأستاذ التاريخ الطبيعى ذائع الصيت كايجرودوف - راح يكدح فى الأرض التى تتمثل فى حديقة البيت .

حين أدرك الموت عزيزنا كوزيروجوف صارت مذكراته وممتلكاته من نصيب مديرة منزله « مارفا ييفلا مييفنا » وكما يعلم الكل فإن هذه المرأة العجوز الجديرة بكل تقدير سارعت بهدم البيت لتشيد على أنقاضه فندقا يقدم لعملائه المشروبات الروحية ، وخصصت إلى جانب بار الفندق حجرة لملاك الأراضى وأصحاب الأعمال الذين يأتون فى الغالب بحثا عن المتعة .

كانت مذكرات كوزيروجوف على طاولة بتلك الحجرة وفى خدمة أى عميل يرغب فى نزع ورقة من الدفتر ليقضى بها مصلحة !

وبالمصادفة البحتة وقعت فى يدى صفحة من المذكرات . كانت تلك القصاصة تتحدث عن بعض الأنشطة التى مارسها الفقيد . . . وإليكم بيانها :

٣ مارس :

بدأت الهجرة الربيعية للطيور . بالأمس شاهدت العصافير . . . مرحى يا صغار الجنوب ذوات الريش . إننى

من تغريدك العذب أتخيل أننى أسمع من يقول لى :

- كن سعيدا يا صاحب الفخامة !

١٤ مارس :

سألت مارفا اليوم :

- لماذا لا يكف الطاهى عن الصياح والنرفزة ؟

أجابتنى : إنه يعانى من حنجرته .

قلت معارضا : إننى أعانى من حنجرتى بيد أننى لا أصرخ. آه ، لكم تخفى الطبيعة من أسرار !

لقد تناولت - إبان خدمتى فى مدينة سان بطرسبورج - لحم الرومى بإسراف ، لكنتى لم أشاهد ذلك الديك الرومى إلا بالأمس . . إنه طائر مميز للغاية .

٢٢ مارس :

نادانى ضابط شرطة المنطقة وتناقشنا فى الفضيلة ، كنت جالسا وهو واقف . سألنى :

- ألا ترغب يا صاحب الفخامة أن تعود شابا ؟

- مستحيل أن أفعل ؛ فلو بدأت من جديد لما استعطت الوصول إلى مكانتى الرفيعة الحالية .

فغمز لى بعينه وانصرف دون تعقيب !

١٦ إبريل :

بيدى حفرت حوضين فى حديقة البيت وزرعت الحنطة ،

لم أبح بالسر لمخلوق لأفاجئ مارفا التى أدين لها بالسعادة فى شطر كبير من حياتى ! بالأمس ونحن نشرب الشاى جأرت مارفا بالشكوى من بدانتها المفرطة التى تحول دون ولوجها من باب المخزن . قلت لها :

- على العكس يا عزيزتى فإن حجمك البديع يضفى عليك جاذبية لا يمكننى أن أقاومها ؛ احمرّ وجهها فنهضت أطواقها بكلتا ذراعىّ ؛ إذ لا تكفى لذلك ذراعٍ واحدة !

٢٨ مايو :

شاهدنى رجل معمّر جالسا قريبا من الحمّامات المخصّصة للسيدات على ضفة النهر فسألنى عن السبب ، فأجبته :

- إننى هنا لأمنع الشباب من التطفل والتسكع . . .

قال فى التو :

- فلتكن هذه مهمتنا معا !

وجلس إلى جانبى ، وبدأنا نتحدث عن الفضيلة !

* * *

أجمة من أشجار اللِّيلَاك . .

قصة : ألكساندر كوبرين

نادرا ما انتظر نيكولاى إيفجروفتش الماسوف زوجته إلى أن تفتح الباب . ومن غير أن ينزع معطفه وقبعته أسرع يخطو إلى غرفة المكتب . .وما إن شاهدت زوجته وجهه الحزين ، بتقطيبته المذهلة ، وعضته لشفته السفلى حتى أدركت أنه لقى حظا سيئا . .

تبعته فى صمت ، وإذا به يتوقف هنيهة فى البقعة ذاتها محملقا فى ركن من الغرفة ، ثم يسقط حافظة أوراقه من يده لتفتح ، ويلقى بنفسه فى مقعد . . .

لقد عاد الماسوف ، الضابط الصغير البائس من الكلية بعد أن عرض على أستاذه اليوم آخر وأصعب جزء من عمله التطبيقى : خريطة محلية .

انقضت كل اختباراته بنجاح إلى الآن ، وزوجته وحدها تعلم ماذا كان عليه أن يفعل . كان التحاقه بالكلية فى البداية يبدو مستحيلا ، وها هو منذ عامين يحاول اجتياز الاختبارات ، وتلك هى محاولته الثالثة التى يقهر فيها الصعاب .

ولولا زوجته لما تمكن من ذلك ! لقد تدربت على مواجهة الفشل بالرضا المرح الصافى ، وتخلت عن كل رفاهية من أجل أن تحيطه بالراحة الضرورية للرجل الذى يؤدى العمل الذهنى . لقد نسخت له الأوراق ، ونفذت رسوماته البيانية ، وقرأت له الدروس ، وكانت له الأچندة الجاهزة بالمعلومات فى كل الأوقات !

خمس دقائق مرت فى صمت مطبق ، والماسوف يجلس فى سكون دون أن يخلع معطفه أو قبعته ، يحملق فى ركن الحجرة . بينما تقف ڤيرا على بعد خطوتين منه ترمقه بنظرة معاناة على وجهها الجميل .

تحدثت هى ، قالت بأسلوب حذر :

- كوليا ، أعملك لم يلق الرضا ؟

هز كتفيه فى صمت . .

- هل رفضوا خريطتك يا كوليا ؟ خبرنى ولا تبال ، إننا نناقش المسالة وحسب .

التفت إليها وبدأ حديثه فى غضب عاصف على نحو ما يفعل مَنْ يشعر بوقوع الظلم عليه ، وهو يركل الحافظة بقدميه . .

- حسن إذن إنْ أردت أن تعلمى . لقد رفضوها ، فليذهب العمل إلى الشيطان ! وإلى النار لتأكلَ هذه القمامة الآن ، لقد انتهت الكلية بالنسبة لى ! وبعد شهر سأعود بكل الخزى إلى عملى . . كل ذلك بسبب تلك البقعة اللعينة . .

جلست على ذراع مقعده واضعة ذراعيها حول عنقه :

أية بقعة يا كوليا ؟ أية بقعة ؟

- أوه ، إنها بقعة عادية خضراء . تعلمين أننى ليلة أمس عملت حتى الثالثة لأنهى الخريطة . كانت رائعة رسما وتلوينا ، الكل قال ذلك ! حسن ، وبينما أنا جالس فى غاية الإرهاق ليلة

الأمس ارتعدت يدى وإذا ببقعة خضراء تقع على الخريطة ، بقعة كبيرة ! لقد حاولت إزالتها فإذا بها تتسع . جلست أفكر وأتساءل كيف أتصرف ؟ هنا واتتنى فكرة إننى سأرسم بعض الأشجار فوق البقعة ؛ أجمة ! بدت - رائعة حين انتهيت من رسمها ، ثم أخذتها إلى الأستاذ اليوم ، فقال لى : آه ، أجل ، أوه ، كيف رسمت هذه الأشجار هنا ؟

لو أننى ذكرت له حكاية البقعة لضحك وانتهت المسألة ، لكنى لم أظنه سيضحك ؛ فهو صلب للغاية ولا يعرف المرونة .

قلت له : لكن هنا أجمة . . .

قال : كلا ، إننى أعرف المكان معرفتى لراحة يدى هذه ، ولا وجود لأية أشجار هناك . .

ثار جدل طويل بيننا ، وتجمع حولنا ضباط كثيرون ، فقال :

- إن كنت واثقا من وجود الأجمة علينا أن نذهب فى الغد ونعاين المكان وستعرف وقتها إن كنت مهملا أو نقلت الرسم من خريطة أخرى . .

سألت ڤيرا :

- لكن لماذا هو شديد الوثوق من عدم وجود الأجمة هناك ؟

- أوه ، يا عزيزتى ! ياله من سؤال طفولى ! لأنه منذ عشرين عاما ، يعرف المكان أكثر مما يعرف غرفة نومه ، وهو

أفضل مرجع فى ذلك الموضوع . . وفى النهاية سيعلم الجميع أننى قد كذبت . . .

وبينما هو غارق فى شروده أثناء الحديث كان يكسر أعواد الثقاب بين أصابعه ، وحين فرغ من الحديث ألقى الأعواد ساخطا على الأرض . .

جلس الزوجان يفكران تفكيرا عميقا دون حديث . فجأة قفزت ڤيرا من المقعد صائحة :

- اسمع يا كوليا : لا بد أن نذهب فى هذه اللحظة ! هيا بسرعة . . .

قال :

- لا تكونى خيالية يا ڤيرا ؛ هل تظنين أننى أستطيع أن أذهب وأعتذر ؟ أرجو ألا تبدأى بالحماقات :

قالت ڤيرا :

- لا أريد الحماقات ، ولا أطلب منك أن تذهب وتعتذر ، وإن لم تكن تلك الأشجار موجودة هنا فعلينا أن نذهب ونزرعها فى التو . . .

فتح الماسوف عينيه على سعتهما صائحا :

- نزرع ؟ أشجارا ؟

- نعم ، نزرعها ، لقد كذبت وعلينا تصحيح الكذبة ، فهم واستعد بسرعة ، وأعطنى قبعتى ومعطفى ومظلتى .

وبينما هو يجلب لها هذه الأشياء فتحت ڤيرا أدراج الموائد ، واستخرجت السلال والعلب ، وأفرغت محتوياتها على الأرض وهى تقول :

- الحلقان ، مجرد مخلفات ! لن يدفعوا فيها شيئا ! وهذا الخاتم بالفص القيم . علينا أن نسترده مرة أخرى بطريقة ما ، فمن المؤسف أن نفقده ! أين الكيس الذى تحتفظ فيه بسيجارك يا كوليا ؟

بعد خمس دقائق تم جمع كل متعلقاتها الثمينة فى حقيبة ، ثم قالت وهى تتطلع حولها بنظرة أخيرة :

- هلم بنا . .

عارضها بقولِهِ :

- إلى أين ؟ لقد حل الليل وساد الظلام ، والمكان يبعد عنا مسافة خمسة أميال . .

- هراء ! هيا بنا !

ذهبنا فى البداية إلى حانوت الرهون ، عاين صاحب الحانوت - وقد اعتاد على استغلال ظروف الناس المادية وحاجتهم إلى المال - كنوزهما على مهل وببرود مما أفقد ڤيرا صبرها . فى النهاية عرض ثلاثة روبلات مقابل فص الماس فى الخاتم . . .

قالت ڤيرا معترضة :

- إنه فص حقيقى يساوى سبعة وثلاثين روبلا على

الأقل . . أغلق الرجل عينيه بعد نظرة مرهقة . . ودفع ثلاثة وعشرين روبلا كانت تفيض عن حاجتها . . .

كان الضباب يغطي سماء سانت بطرسبورج وهما ذاهبان إلى منزل البستانى . لقد اندهش الرجل للغاية حين وصلا إلى منزله ، وكان قد شرع لتوه فى تناول العشاء مع أسرته ، ساوره الشك ، وأجاب على ڤيرا بقوله :

- أنا أسف ، لكننى لا أقدر على إرسال العمال فى ساعة متأخرة من الليل إلى هذه المساحة البعيدة ، ربما أفعل فى الغد ، وأنا فى خدمتكما . .

لم يجدا مفرا من إطلاع البستانى على تفاصيل الحكاية الكاملة عن البقعة عاثرة الحظ . أرهف البستانى سمعه وهو لا يكاد يصدق ، ولكن حين وصلت ڤيرا إلى فكرتها عن زراعة الأجمة ؛ ظهر عليه اهتمام كبير وابتسم ، ثم سأل بعد أن انتهت ڤيرا من حكايتها :

- حسن ، هل هناك شيء آخر يمكن عمله ؟ أى نوع من الأشجار تريدان أن أزرع لكما ؟

اتفقوا على أجمة من أشجار الليلاك . حاول الماسوف إقناع ڤيرا بأن تعود إلى البيت لكنها رفضت وأصرت على مصاحبته ، فأرهقت البستانى وأصحابه طيلة الوقت ، ولم تعد إلى بيتها إلا وقد تم لها التأكد من أن الحشائش المحيطة بالأشجار لا تختلف

عن بقية العشب الموجودة هناك !

فى اليوم التالى لم تستطع ڤيرا المكوث فى البيت . خرجت لتلقى زوجها وهو عائد من العمل .. من مشيته الواثقة النشطة الوثابة أيقنت أن الحكاية انتهت نهاية سعيدة..

حقيقة ، ورغم أن الماسوف كان معفر الثياب وقد نال منه التعب ، فإن وجهه يتألق بزهو النصر ...

أجاب على نظرتها المستطلعة قائلا .

- رائع ! حاولى أن تتخيلى حين وصلنا إلى الأجمة . لقد راح ينظر ويعيد النظر فى غير تصديق ، ونزع ورقة شجرة وعضها ، وسألنى :

- أى نوع من الأشجار هذا ..

قلت :

- لا علم لى يا صاحب السعادة ..

مد يده إلىَّ قائلا :

- إننى آسف ، لربما بلغ بى العمر مبلغا إلى الحد الذى أنسانى وجود هذه الأشجار !

إنه رجل عجوز ظريف ، وماهر إلى حد كبير . من العار أننا نخدعه ؛ فهو من أفضل أساتذتى ، ومعلوماته ممتازة ، ورائع فى الخرائط والرسوم ...

لم يكف ڤيرا أن تسمع الحكاية مرة واحدة ، فاستعادته

الحكاية مرات ومرات ، بالتفاصيل كلها . . .

لم يسبق لألماسوف أن تناول عشاءه بمثل هذه الشهية ، وبعد العشاء حين دخلت ڤيرا حجرة المكتب تحمل لزوجها كوب الشاى انطلقا يضحكان فى نفس واحد ، ويتبادلان النظرات . .

سألته ڤيرا :

- ما الذى يضحكك ؟

فسألها بدوره :

- وما الذى يضحكك أنت ؟

- خبرنى أولا ، ثم أخبرك فيما بعد !

- أوه ، مجرد هراء ! كنت أفكر فى شجرة الليلاك ، وأنت ؟

- وأنا كذلك ، كنت أفكر فى الأجمة ؛ لقد أصبحت الليلاك زهرتى المفضلة الآن !

* * *

المنزل

قصة : اندريه موروا

قالت : منذ سنوات خمس - وقد ألم بى مرض عضال - لاحظت أنه يعاودنى حلم بعينه كل ليلة ؛ رأيت نفسى أسير فى الريف وعن البعد لمحت منزلا أبيض منخفضا وفسيحا ، تحوطه أيكة من أشجار الزيزفون . إلى يسار المنزل مرعى وافر تحده أشجار الحور التى تتطاول فى السماء وتتمايل فى دلال لتعلو فوق أشجار الزيزفون وتحجبها عن ناظرى من يشاهدون المنظر عن بعد .

أسير منجذبة إلى ذلك المنزل الشبيه بالقصر ؛ عند المدخل بوابة بيضاء . أجتاز رواقا بديعا تظلله الأشجار على الجانبين . ثمة ورود وأزهار ورياحين وشقائق نعمان حين أمد يدى لقطفها تذوى فى الحال . وينتهى الرواق أخيرا إلى درابزين ودرجات سلم قليلة وإلى الباب المصنوع من خشب البلوط . .

فى مواجهة المنزل مرج واسع أخضر به حوض كبير يحوى أزهار البنفسج وورود حمراء وبيضاء تضفى روعة وبهاء على البساط الأخضر.

المنزل مبنى بالصخور البيضاء ومسقوف بألواح إردواز زرقاء . لكم تلهفت على دخول المنزل ! لم يجاوبنى أحد فأصبت بخيبة أمل بالغة ؛ فقد دققت الجرس طويلا وناديت صائحا ، وفى النهاية صحوت من نومى . . .

هكذا كان حلمى ولقد تكرر كثيرا ، نفس المشاهد بغير

تعديل أو تغيير . الطريف أننى حين كنت أصحو لا أقدر على تذكر تفاصيل الحلم ! فجأة راودتنى فكرة جريئة لم أقدر على دفعها : أن أنطلق فى أجازة الصيف بسيارتى الصغيرة وأقضى الأجازة فى جولة بحثا عن المنزل ! بالطبع لن أزعجكم بسرد تفاصيل رحلتى ؛ فقد طفت بنورماندى وتورين وبواتو من غير أن أظفر ببغيتى ، حين عدت إلى باريس فى أكتوبر لاحقنى الحلم طيلة الشتاء.

عندما قدم الربيع وأصلت رحلتى فى الريف المحيط بباريس ، ذات يوم كنت على تل قرب أورليان وإذا بشعور طاغ يغمرنى . . فالبقعة – برغم أنى لم أزورها– بدت مألوفة لى. . . وها أنا أشاهد قمم أشجار الحور تتمايل مزهوة فى الفضاء !

أخيرا عثرت على منزل حلمى . . . قدت سيارتى مقتربة من المكان . ها هى البوابة البيضاء والباب المصنوع من خشب البلوط . فارقت السيارة وعدوت مسرعة إلى السلم أقفز الدرجات وأدق الجرس ، انفتح الباب عن خادم بوجه كئيب تملؤه التجاعيد . . . يرتدى الخادم چاكـتا أسود . حين رآنى بحلق فى وجهى فى ذهول دون أن ينطق بحرف! قلت له :

– عفوا ، لى طلب غريب نوعا . إننى لا أعرف أصحاب المنزل فهل يأذنون لى فى معاينته والفرجة عليه ؟ . .

– إن المنزل مهجور ياسيدتى ولقد فوضوا إلىَّ عملية البيع .

- المنزل مهجور وخال؟ ياله من حظ ! لكن لماذا هجره أصحابه ؟. . . .

- لأنه مسكون يا سيدتى !

صحت فيه :

- مسكون ؟ ألا يزال الفرنسيون فى الريف يعتقدون فى الأشباح ؟

- إننى يا سيدتى لم أصدقهم إلى أن التقيت بالشبح يتجول فى الحديقة كل ليلة . .

فى ذهول صحت وأنا أحاول أن أغتصب ابتسامة :

- يا لها من حكاية مضحكة !

فى عتاب ولوم قال الرجل:

- عليك ياسيدتى ألا تسخرى من الحكاية ؛ فلم يكن ذلك الشبح سواك !

* * *

بيت الكلب الأسود

قصة : ساتوهارو

بدأ فرات ، كلبى المفضل ، يعدو فجأة ، ثم توقف على قارعة الطريق . ياله من كلب مدهش ! لقد صحبنى لعدة أعوام ، وهو أكثر مهارة من البشر .. كنت أحب أن أصحبه فى جولاتى ؛ لأنه دائما يقودنى إلى بقاع لم أزرها قط. صار من عادتى أن أخرج معه دون أن أحدد لنفسى وجهة معينة . ومن ثم فقد سرت خلف كلبى وقلبى يضطرب بعنف فى صدرى ؛ إذ كانت السحب قد تكاثفت في السماء وأنذرت بمطر وشيك.

فجأة ، انتهى السير بنا إلى طريق تحف بجانبيه الأزهار . مددت يدى أقطف باقة منها . أدنيت الباقة من أنفى فإذا بها ذات عبق وشذى خلاب . ها هو ذا فرات يراقبنى محملقا فى عينى . ردد النظر بينى والأزهار فى دهشة .. هل كان يظن الأزهار عظمة شهية ؟

مضينا فى جولتنا قرابة الساعتين إلى أن انتهى بنا الصعود إلى ربوة أشرفت منها على منظر بديع ... لقد رأيت بلدة بين الضباب والسحب .

الربوة تتعرج إلى الأسفل ... وسطح التل مغطى بالحشائش والأعشاب .. ها نحن أولاء قاربنا على الظهيرة .. وشمس الربيع تشرق كالدخان وتتخلل الأوراق الندية الخضراء .. ووجدت نفسى مدفوعا إلى الهبوط إلى عمق الغابة ..

سبقني فرات إلى الغابة في حبور ... تبعته وإذا به يسلك طريقا مختلفا ، ثم توقف رافعا قوائمه .. ومد أنفه يتشمم .. أيكون قد وجد شيئا؟ إنه يتردد رائحا غاديا ، ثم يبدو وكأنه قد عثر بضالته فواصل المسير .. تابعته بينما الأطيار تشدو بين الأفنان في وقع ساحر ... وإيقاع عذب...

أشرفنا على عين ماء وسمعنا خرير الماء . تراجع فرات وهو يتشمم الأرض من جديد . أسرع فجأة متجها لجهة اليسار. إنني مندهش للغاية من اتساع الغابة .. وأثارني تصرف الكلب .. لكنه توقف ونبح نباحا متصلا..

ها هو ذا بيت غريب المنظر يطالعني .. اندهشت لماذا يتخذ إنسان بيتا في مكان منعزل كهذا .. لكنني بنظرة سريعة أدركت أنه لا توجد حديقة ، فقد صمم البيت على أن يكون في مواجهة من يصل إليه أو يتوقف عنده..

كان بيتا عاديا .. بيد أنني فشلت في تحديد نوعيته ، فلم يكن ريفيا لأن نوافذه كانت زجاجية ولم أعثر على مدخل للبيت فحسبت أنه خلف البيت ...

قوة بداخلي تجبرني على دخول البيت ، فإنني أشعر بالبرودة ولا شك أن ساكني البيت سينفحونني بقدح من الشاي الساخن ، ناهيكم عن الغذاء لي ولفرات !

سمعت خرير ماء قريب .. كان مدخل البيت مواجها للغابة

ومن طراز خاص تغلب عليه الأبهة .. وقادتنى أربع درجات سلم صخرية إلى الباب ..

المنزل مطل على الجنوب وتحت النافذة الأمامية تنمو ورود صغيرة حمراء وتتسلق إلى الجدار . فى الأسفل نبع من الماء يلمع فى وهج الشمس ، للوهلة الأولى بدا لى أن الماء ينبع من البيت ذاته . راح فرات يعب الماء فى لهفة .. بلا ريب وجد فرات الماء حلو المذاق...

صعدت درج السلم وأنا أسمع حفيف قدمى .. لكن ذلك لم يؤثر فى هدوء المكان . تساءلت : أهو بيت أحد السحرة ؟!

شاهدت فرات يقف بلا مبالاة ، ولسانه يتدلى ، وذيله يتأرجح .. طرقت الباب . لا مجيب .. عاودت الطرق وما من مجيب .. رفعت صوتى مناديا :

هل لى أن أدخل ؟!

ما من مجيب ! أهو بيت مهجور ؟!

انصرفت إلى النافذة وشببت على أطراف قدمى ونظرت إلى الداخل .. ثمة ستارة قاتمة ذات خطوط زرقاء مسدلة على النافذة ... لكننى استطعت أن ألمح حمام سباحة كبيرا صخريا فى وسط الغرفة .. والماء ينسكب منه على الجانبين . الأرض كذلك كانت صخرية .. أدهشنى وجود حمام السباحة الصخرى تطلعت بناظرى أبحث فى أرجاء الغرفة ...

الأرضية من الصخر الأزرق الباهت .. وعلى جدار الغرفة مدفأة من الصخر إلى يمينها ثلاثة أرفف للكتب تكومت فوقها الأطباق .. لمحت مكتبا قرب النافذة . فوق المكتب سيجارة تشتعل ودخانها يتصاعد فى جو الغرفة .. لا بد أن هناك شخصا ما ..

أشعلت سيجارة وقد قررت دخول البيت .. فناديت من جديد : هل يوجد أحد بالداخل ؟!

ولما لم أسمع مجيبا فتحت الباب بهدوء .. ولم يكن موصدا من الداخل .. لكننى فجأة توقفت وعدت أدراجى .. ثمة كلب أسود من النوع الأسبانى مقعى تحت النافذة .. نهض الكلب الأسود حين لمحنى .. وزمجر .. لكن فرات تدخل فى الوقت المناسب وكشر عن أنيابه مزمجرا .. هنا هز الأسود ذيله وأقعى مرة أخرى .. فذهب إليه فرات وأقعى إلى جواره . هنا عاودتنى الشجاعة وعدت أخطو من جديد....

الكلب الأسود عجوز ضخم . وجدتنى أربت بيدى على رأسه فلعق يدى بلسانه فى سعادة ...

لكن أين صاحب البيت؟ من يكون ؟ إننى لا أَنِى عن التفكير فى حمام السباحة .. ودخان السيجارة المشتعلة ... وأنا أسمع دقات ساعة وألمحها فوق المنضدة ..إلى جوار المنضدة

مقاعد . . . أما الساعة فكانت عقاربها تسير فى بطء شديد ولاحظت أنها الواحدة والربع ومتأخرة عن ساعتى بساعة كاملة .

لمحت كتبا باللغة الألمانية يكسوها التراب . . وثمة لوحة معلقة فوق الجدار . . .

قررت أن أغادر البيت عائدا إلى بيتى . . لا بد أننى سأعثر يوما على صاحب هذا البيت . لكن فيم العجلة ؟ فلأدخن سيجارة ريثما يظهر الرجل . . كنت أستمع إلى موسيقى تأتى من بعيد . .أعجبنى سماعها ! أهى منسابة من الماء العذب؟!

ذهبت إلى الباب وأنا أطلق صفيرا لفرات . حدق فىَّ الكلب الأسود فشعرت بالخوف خشية أن يعضنى من الخلف . لم ألبث ووجدت نفسى خارج البيت . .

لكننى وجدت شيئا يدفعنى دفعا إلى النافذة لألقى نظرة أخيرة إلى الغرفة . . . وإذا بالكلب الأسود وقد نهض بطيئا واتجه على المنضدة . . . ها هو قد جلس على أحد المقاعد . . يا إلهى . .لقد تحول إلى رجل فى أوسط العمر يرتدى نظارة وبذلة سوداء . . وبيده سيجارة لم تشتعل . . . يقلب صفحات أحد الكتب الألمانية . .

حدث ذلك ظهيرة يوم ربيعى حار نسبيا ، وأنا أقف فى عمق الغابة الهادئة هدوء القبور ، لا يقطع هدوءها غير نباح كلبى العزيز فرات !

فنجاى شاى

قصة : آفونسو باتيلهو

منذ سنوات غير موغلة فى القدم ، كانت الرحلة البرية من أوبرتو إلى ريجوا تتم على مرحلتين ؛ **إحداهما** : بمركبة تجرها الخيول . **والثانية** : بالسكة الحديدية ، طبقا لظروف البلاد. . .

كانت المركبة التى تجرها ستة خيول قوية تقف بانتظار الركاب قرب مكاتب شركة السفريات فى أوبرتو . . .

وفى الزحام المحموم حول المركبة أعلن بعض الركاب أنهم كثيرا ما كانوا لا يجدون بانتظارهم الأماكن التى حجزوها ، وشكا البعض الآخر من ضياع أمتعتهم . زاد الطين بلة لهجة الحمالين الفظة . . . .

ثمة شاب يجلس فى مكان قرب الباب . لقد حجز مقعده فى وقت مبكر ونظم أمتعته . الركاب يشغلون أماكنهم عدا مقعدِ واحدا بمواجهة الشاب . بدا أن المقعد الشاغر قد تم حجزه لراكب لم يقدر على الوصول فى الموعد المحدّد . . . .

جمع السائق فى يديه أعنة الخيل ، بينما أعلن الحارس أن المركبة توشك على الرحيل. . .

فجأة برز من أحد الأركان إلى الرؤية منظر غريب ! رجل بدين يسير مثل البطة ، يتنفس بصعوبة بالغة ويلوح بمظلة ضخمة باتجاه المركبة ، ومن خلفه حمالان يلهثان بحمل أمتعته . . .

أطلق الحارس صوته مدويا ، فتم رفع الأمتعة ، وتسلق الراكب البدين واستوى جالسا فى المكان الشاغر ، ووجد بمشقة مساحة وضع فيها مظلته ومعطفه الواقى من المطر . . .

تقدمت الخيل عبر الشوارع الصخرية فى أوبرتو ، باتجاه الطريق الموصل إلى محطة (مينهو دورو) للسكة الحديدية .

بدا الراكب البدين منزعجا ؛ فقد راح يدمدم بنفاد صبر ، ويتململ فى مقعده . أخيرا وقعت عيناه على الشاب الجالس بمواجهته : جُواو دى سوزه ، قال :

- إنه لشىء بشع يا سيدى . . . وأردف متعجبا :

- تخيل وحسب ! إننى لم أستطع الحصول على فنجان شاى !

لم يعقّب چواو دى سوزه . نظر فى تساؤل إلى البدين الذى تابع يقول:

- إنك ترى أن من عادتى أن أتناول فنجان شاى بعد الغداء ، فنجان شاى أسود ثقيل . ولما كنت قد وصلت مهرولا للحاق بالمركبة فإن وقتى لم يتسع لشرب الشاى .إننى لا أستطيع أن أصف لك شوقى إلى الشاى ! أنت ترى يا سيدى أنه حين يصل الإنسان إلى سنّى هذه تكون العادات بالنسبة له كل شىء . . .إننى أعلم الآن أننى سأكون بائسا طوال الرحلة لأننى لم أتناول فنجان الشاى ! أنت يا سيدى شاب ، لكن خذها منى نصيحة ، أنا الرجل المواظب على عاداته : حين تكون لديك عادة حسنة عليك أن تتشبث بها !

استمتع چواو بالحديث ، قال :

- لكنك، حين نصل إلى محطة السكة الحديدية ، تستطيع الحصول على الشاى فى غرفة الاستراحة .

- بالطبع ... إننى لم أفكر فى ذلك ! سيكون ذلك بعد فترة من الغداء ، لكن على الأقل سيكون هناك شيء ..

حين وصلوا إلى الرصيف هرول الجميع إلى الاستراحة استعدادا للرحلة بالقطار ؛ شرب البعض النبيذ وأكلوا خبزا وفاكهة . اشترى البعض الآخر أطعمة ليأكلوها فى القطار.

جلس البدين إلى مائدة يتطلع بحثا عن النادل . مضى وقت طويل دون أن يعثر عليه ليطلب فنجان الشاى ...

كان موشكا على ذكر تفاصيل الفنجان الذى يريده ، بيد أن النادل كان مشغولا بإحضار طلبات الزبائن...

فى النهاية وبينما چواو دى سوزه يتأهب ليشغل مقعده فى القطار رأى البدين يتجهز للاستمتاع بمشروبه المفضل..

ثم إذا به يقبل مندفعا ، ويصعد إلى القطار فى الوقت الذى انطلقت فيه صفارة المحطة ، ويجلس قبالة چواو دى سوزه وهو يمسح وجهه بمنديل حريرى فاخر .

سأله دى سوزه مبتسما :

- وإذن ؟

- عزيزى الشاب ، لقد أحضر لى النادل شايا أخضر ، وأنا لا أستطيع مطلقا شرب الشاى الأخضر !

اجتاز القطار الجبال الرائعة ، والمنازل الريفية والنهيرات الصغيرة . ها هو الليل مقبل والشمس تتوارى فى غروبها أسفل التلال . لم يستمتع البدين بروعة المنظر . راح يتثاءب ويطلق عبارات التعجب بنفاد صبر . سمع دى سوزه آهة وعبارة تنتهى بكلمة (شاى). .

قال دى سوزه :

- تستطيع أن تحظى بفجان شاى . . .

- أين ؟

- سوف نغادر القطار فى(كاهايد) ، ونستقل مركبة أخرى .

- آه ، إننى لم أفكر فى ذلك ! لك خالص شكرى لتذكيرى بذلك ! إننى أستطيع شرب الشاى فى الخان الذى ستبدأ منه الخيل الرحلة . . .

وراح يغنى إلى أن أخذه النوم العميق . أرقته حركة القطار . لم يفتح عينيه إلى أن هزَّهُ دى سوزه فصحا وهو يسأل :

- أين نحن الآن ؟

- فى كاهايد ، وعلينا أن ننزل هنا ونستقل المركبة . .

- إنك عطوف جدا يا سيدى .. وبدأ البدين يجمع أمتعته . . .

ثمة مركبتان تقفان خارج الخان ؛ إحداهما : ذاهبة إلى ڤيلا ريال . والثانية : إلى ريجوا . بينما كان دى سوزه فى طريقة إلى

المركبتين عثر بالبدين يحاور النادل فى عنف وضراوة ؛ توقف يسأله إن كان ذاهبا إلى ريجوا أو إلى ڤيلا ريال . . . . .

- إننى ذاهب إلى ريجوا يا سيدى . لك أن تفكر وحسب إنه شيء بشع ! ألا أستطيع الحصول على فنجان شاى !

فى حزن قال الشاب :

- إنها لمسألة خطيرة بالفعل . .

- خطيرة ؟ إننى أصدقك ! أى نوع من المطاعم هذا . . ؟ لا توجد ورقة شاى سوداء واحدة . . !

هنا نادى الحارس :

- على كل الركاب الذاهبين إلى ريجوا اتخاذ أماكنكم من فضلكم . .

عاود البدين الجلوس قبالة دى سوزه . . .

- إذن خاب أملك مرة أخرى يا سيدى ؟

- لا تذكرنى ، إنه شيء فظيع ، أن أذهب فى رحلة طويلة كهذه بدون فنجان شاى !

- أمامك فرصة أخرى فى (آمارانتى) ، حيث نقوم باستبدال الخيل . .

- أوه ، إننى مسرور ، إنك رائع يا سيدى . . .

اندفعت المركبة خلال طرق الريف ، ورغم الحركة والضجيج نام الركاب خلا دى سوزه ؛ ظل يقظا يرقب الريف

يمر أمام ناظريه فى ضوء القمر : الأشجار ، والبرارى ، والأضواء تنبعث من منازل القرية وتذوب فى الضباب على جانب التل . . . .

عبرت المركبة الشارع الصخرى الضيق ، وتوقفت خارج الخان الشهير فى الكابادييرا . . .

عبقت غرفة الطعام فى الخان بدخان التبغ ورائحة الكاكاو قاد النادل الركاب إلى مقاعدهم ، وقدم إليهم عشاءً فاخرًا بالفعل . استمتع چواو دى سوزه بالنبيذ الرائع من ڤالديبناس . . .

تطلع حوله فأبصر البدين جالسا فى أحد أركان المائدة يترقب بانفعال وصول النادل ليحدثه . . قال :

- أيها النادل ، أريد فنجان شاى ثقيلا وأسود ، تذكر ، لا أريد سوى ذلك . . .

- مهلك لحظة ياسيدى فإننى مطالب بتقديم العشاء ، بعد ذلك سأطلب لك الشاى ، ماذا تريد للعشاء ياسيدى ؟

- لا أقدر أن آكل إلى أن أشرب الشاى . . .

واظب النادل على تقديم الأطباق الرائعة من الدجاج وكل صنوف الطعام الفاخر ، وزجاجات النبيذ فى مرح للركاب . . .

انتظر البدين على مضض ، وإذا بصوت يعلن أن المركبة على وشك التحرك بعد خمس دقائق . انقلب الخان إلى خلية نحل من النشاط والإثارة والاضطراب ؛ فاندفع الركاب جميعا

ليظفروا بأماكنهم فى المركبة .سمع دى سوزه صوت البدين البائس يقول :

– وشايى أيها النادل ؟ ماذا عن الشاى ؟

– لحظة يا سيدى . . .

اتخذ الجميع أماكنهم عد البدين ؛ فقد جلس على باب الخان نافد الصبر . حين أوشكت المركبة أن تنطلق يقودها اثنا عشر ثورا وجّه الحارس حديثه إلى البدين :

– تفضل ، خذ مكانك يا سيدى ، فلن نطيل الانتظار . . .

فجأة هرول النادل جريا بصينية فوقها فنجان شاى يتصاعد منه البخار . أطلق البدين صيحة فرح ، كانت قدمه على سلم المركبة ، فاختطف الفنجان ورفعه إلى شفتيه. صرخ من الألم وأعاد الفنجان إلى الصينية . .

– مستحيل أن أشرب هذا الشاى ؛ إنه يغلى ! لماذا أحضرته والمركبة على وشك الذهاب ؟ وصعد إلى مكانه ودموع الألم والضيق فى عينيه . . .

ظلت المركبة تصعد التل . استغرق الصعود خمس ساعات. . هبط مطر رائع فوق الأشجار المعّمرة هائلة الحجم إلى جانب الطريق الجبلى ، وصفرت الريح بين الأغصان . . تجرى نهيرات هنا وهناك . . تهبط من ثلوج الجبال لتكوّن نهر دورو العظيم . . . .

وقف السائق إلى جوار قائد قطيع الثيران مشجعا . غرق الركاب فى النوم عدا دى سوزه . بدأ الطريق يزداد ضيقا وقد أدركوا القمة ، أشرقت الشمس وصبغت الجبال بشتى الألوان : أرجواني وبنفسجى وأصفر . توقفت المركبة عند خان قرب قرية كونتيلا . استيقظ الركاب وهبطوا ليمددوا سيقانهم فى هواء الصباح النقى .

تجول دى سوزه فى المكان مبهورا بجمال المنظر . . فقد امتدت قمم الجبال على مرأى العين ، وفى الأسفل ينساب متلألئا مجرى مائى واسع . . وتضفى الأشجار سحرا بديعا على المشهد كله .

توقف الشاب . لقد سمع صوت خطوة بطيئة قادمة وصوت تثاؤب طويل . ابتسم حين لمح البدين قادما وهو نصف نعسان . .

– حسن يا سيدى ، كيف حالك وماذا عن الشاى الآن ؟

– أوه يا صديقى الشاب العزيز ، لقد فقدت كل أمل ، فلا يوجد شاى فى ذلك الخان . يقولون إنه ما من أحد يطلبه . . .

أُعِدَّت الخيل للرحلة وأعطى الحارس إشارة البدء ، فأسرعت الخيل خببا إلى أسفل التل . انطلقت المركبة لأميال على جانب النهر العظيم إلى أن ظهرت المنازل والحدائق . .

أخيرا دخول شوارع ريجوا البيضاء فى الثامنة والنصف صباحا ، أنسب ساعة للإفطار . .

وبينما المركبة تتوقف عند الفندق ؛ المبنى الرائع ذى النوافذ الخضراء ، التفت البدين إلى دى سوزه مبتسما :

- إننى أشكرك يا سيدى على عطفك ، ولولا صحبتك لكانت الرحلة بشعة بحق . لا أستطيع أن أصف لك مقدار شوقى إلى فنجان الشاى ! وخذها منى نصيحة لا تدع عاداتك إن كانت حميدة . . الآن يمكننى على الأقل أن أتناول فنجان الشاى ، صحيح أننى تأخرت فى ذلك ، لكن ذلك خير من لا شىء . . واسمح لى أن أقدم لك نفسى يا سيدى . . .

اسمى بارنابى دوز أنجوز ، مواطن من بلدة فريكسودى سبادا آسيتتا ، وأنا فى دورو للعمل . . .

آمل أن ألقاك ثانية يا سيدى ، وأنا دائما فى الخدمة . . إننى الآن ذاهب يا عزيزى الشاب لأشرب فى صحتك فنجان شاى !

* * *

في سهول الله

قصة : نيكاتي كومالي

اندفعت الشاحنة فوق الطريق الذى أتلفته العربات ، منطلقة عبر الحقول والمراعى . برغم الانحناءات والانحدارات التى لا تحصى تمضى الشاحنة فى طريقها فى إصرار ، تهتز وتتمايل موشكة على أن تكبو ، محتفظة بتوازنها لفترات حين تصل إلى أرض المراعى المستوية التى سلمت من التلف .

يضيق الطريق عند نقاط معينة بسياج من النباتات والأشجار تكاثفت أغصانها وتدلت حتى سدّت الطريق ؛ مما دفع بالشاحنة إلى الاندفاع بأقصى قوة فاقتلعت الأغصان المناوئة فى ضراوة وعنف .

فى سهول الله أطلق صياد النار وقتل حطابا . لم يعرف أحد كيف تم الأمر ولا أسبابه ؟ وها هى هيئة المحكمة المنوطة بالتحقيق فى الأمر قد حاولت حل غموض القضية على أساس التخمينات ، وها هى عائدة من حيث أتت بعد انتهاء الجلسة المثيرة .

فى المقدمة وإلى جوار السائق جلس القاضى الشيخ ومحامى المنطقة ، على حين ضمّت المؤخرة الخبير الذى انتدبته المحكمة ووكيل النيابة . كانا جالسيْن على حين وقف خمسة حطابين تراوحت أعمارهم بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة . . . هؤلاء هم الشهود . لقد هرعوا إلى ساحة الجريمة بعد وقوعها !

بينما الشاحنة تمضى متخبطة فى سيرها حاول ركاب المؤخرة على توازنهم بجذب ذيول ملابس بعضهم البعض ،

منحنيين إلى أسفل لتفادى اصطدام رءوسهم بالأغصان .

بعد مسيرة زهاء الكيلو متر كانوا يختلسون النظرات إلى أسطح البيوت الصغيرة التى تحوطها الأسيجة ، لقد بدت رائحة المروج ثقيلة بفعل حرارة شهر مايو الشديدة .

لم يقطع السكون غير رفرفة أجنحة الطيور ؛ طيور مختلفة الألوان والأشكال تواظب على التحليق ، تطارد بعضها البعض فى نزق وحبور ، نشوانة من ربيع الحب الذى يهيج العشاق فيرتعون ويلعبون !

يتسع الطريق بمحاذاة جدول الماء ، وإلى يسار الشاحنة تل يموج بحدائق أشجار الزيتون ، وإلى اليمين تنبسط الحقول وتمتد إلى حافة التل .

على خط الحقول لمحوا بعض الخيل والحمير مربوطة ، وكلبة تلهث من التعب وفى أثرها ثلاثة كلاب شبقة .

فجأة وصل بهم الطريق إلى منحدر . وثب الرجال فى المؤخرة وقوفا يتساءلون عما جرى . إلى يسار الشاحنة على الطريق طفل فى نحو الرابعة يبكى ؛ طفل بدين ، عارى القدمين ، حليق الرأس ، أسمر من لفحة الشمس . الطفل لم يكن يرتدى غير قميص طويل يصل إلى ركبتيه . انفتح القميص من الأمام كاشفا عن لحم الطفل العارى . قفز السائق إلى الأرض بعد أن أوقف المحرك وتبعه حطابان . جلس السائق القرفصاء أمام الطفل وسأله :

– ماذا حدث يا بنى ؟ أأنت تائه ؟ طفل من أنت ؟

غمم الطفل وهو ينتحب :

– ريكيب .

– ومن يكون ؟

لم يجب الطفل إلا بالانتحاب .

– ماذا حدث لك ؟ أخبرنا !

رفع الطفل يمناه مشيرا إلى الطريق من حيث جاءوا ، وتعالى نحيبه .

– أين بيتك ؟ أساكن أنت هناك ؟

هز الطفل رأسه بعلامة النفى .

– هل ضربوك ؟ لماذا ؟ وأين أهلك ؟

أسقط الطفل يده بعد أن فرك عينيه ، ثم استأنف البكاء .

السائق الطفل رافعا القميص ، ولم يلبث حتى عاد يخفضه وقد اربدّت ملامحه من الألم . كان سيل من الدم ينساب من مؤخرة الطفل إلى ردفيه .

تحول السائق يصيح فى الركاب :

– ياللعنة ! لقد اغتصبوا الولد ! فتحلق الجميع حول المسكين .

قال حطاب فى هدوء :

– لقد فكرت فى هذا .

وقفوا مذهولين فى سكوت . خلف الطفل أيكة ذات أشجار

متكاثفة الأغصان . بدا كما لو أن الطفل هو الكائن البشرى الوحيد فى تلك البرية . إلى اليمين عبر الجدول لمحوا سطح بيت أبيض .

صاح السائق مناديا :

- أيها الجيران ! أنتم يا من هناك !

وأطلق حطاب صفارة طويلة من فمه ، فخرجت امرأة عجوز تضع يمناها على حاجبيها ، تنظر باتجاه الشاحنة .

- مرحبا يا جرينى ، أأنت والدة المدعو ريكيب ؟

فلوحت بيسراها باتجاه الخلف وأجابت ، لكن صوتها ذهب مع الريح ، فلم يسمعوها .

كانت تشير إلى التل . . إلى بيت صغير بدت ملامحه باهتة من خلال أغصان شجرة زيتون .

قال السائق محدثا محامى المنطقة :

- الله وحده يعلم أين أبواه ، وإننى لمندهش كيف يتركانه فريسة لتلك المخلوقات الوحشية ؟! لم يعقب المحامى !

رفع السائق الطفل من إبطيه وناوله للمرأة :

- تعالى وخذيه ! لكنها انسحبت مبتعدة وهى ترسل إشارة بيديها .

تساءل وكيل النيابة : ماذا تحاول أن تقول ؟

أجابه حطاب : سيأتون ويأخذونه .

- متى ؟

- تقول دعوه حيث هو وسأجئ لآخذه .

التفت السائق إلى القاضى :

- بماذا تأمرنا يا سيدى ؟ ماذا نحن فاعلون يا صاحب السعادة ؟

تبادل القاضى النظرات والمحامى ووكيل النيابة والخبير فى حيرة . هنا جريمة لكن ليس لديهم السلطة لفعل شىء إلا أن تقدم والد الطفل بشكواه إلى مكتب محامى المنطقة فتبدأ الإجراءات والتحقيق و . . . .

وقال محامى المنطقة :

- لا يوجد لدينا ما نفعله ، أليس كذلك ؟

ظل القاضى صامتا وتعبير هائل من الحزن مرسوم على وجهه . . .

ربت السائق بحنان على ظهر الطفل وأضاف :

- عليك أن تظل هنا وتنتظر جرينى .

قال المحامى :

- وقل لوالدك ما حدث لك ليتقدم ببلاغ إلى الشرطة .

عادوا إلى أماكنهم فى الشاحنة ، وبينما هم ماضون فى طريقهم غلب الخوف الطفل فراح يبكى من جديد !

* * *

سر بين اثنين

قصة : كوينتان رينولدز

مونتريال مدينة شديدة الاتساع ، بيد أن بها - ككل المدن الواسعة - بعض الشوارع الصغيرة ، وعلى سبيل المثال فإن شارع الأمير إدوارد يتكون من أربعة مجموعات من المنازل فحسب . . . وما من أحد يعرف خباياه ، مثل « بييردوبان » الذى واظب على مدى ثلاثين عاما على توزيع اللبن يوميا على سكان الشارع .

ومنذ خمس عشرة سنة كان الجواد الذى يجر عربة اللبن التى يقودها بيير أبيض اللون ويدعى « چوزيف » ، وفى مونتريال وبخاصة فى الجزء الفرنسى منها كانت الجياد - كالأطفال - تسمى بأسماء القديسين . . ومن هنا فأنه حين جاء الجواد لأول مرة إلى شركة الألبان وأخبروا بيير بأنه يستطيع استخدام الجواد . . . ربت بيير فى حنان على عنق الجواد الأملس وتحسس بطنه ونظر فى عينيه وهو يقول :

- جواد طيب ورقيق ومخلص . . .

- ثم تابع . . .

- وأستطيع أن ألمح الروح الطيبة فى عينيه . . . وسأسميه چوزيف تيمنا بالقديس الشهير .

بعد عام واحد فحسب عرف چوزيف خبايا الطريق تماما مثل بيير . وكان بيير لا يكف عن التباهى به قائلا :

- إننى لا ألمس العنان مطلقا فچوزيف لا يحوجنى إلى استعماله !

وفى الخامسة من صباح كل يوم كان بيير يصل إلى الحظيرة بشركة اللبان ويجهز العربة ، ثم يشد إليها الجواد ، وحين يصعد على مقعده فأنه يصيح بچوزيف بالفرنسية :

- صباح الخير يا عزيزى . . .

- ويلوى چوزيف عنقه إليه . . وهنا يتبادل زملاء بيير النظرات ويؤكدون أن الجواد يبتسم إلى صاحبه . . .هنا يظهر رئيس العمال ويقول :

- حسنا . .إلى الأمام يا بيير !!

يضحك بيير . . ويهتف برقة لجواده :

- هيا بنا يا صديقى . . . . .

وتهبط القافلة الصغيرة فى خيلاء إلى الطريق ، تنحدر العربة بخفة دون تدخل من بيير فتعبر شارع القديسة كاترين وتنعطف يمينا إلى زقاق روسلين ثم تتجه يسارا إلى شارع الأمير إدوارد ، ثم تتوقف عند أول باب ، ويهبط بيير ليضع قارورة لبن أمام الباب ، ثم تعاود العربة السير لتقف عند الباب الثالث . . . وفى النهاية يستدير چوزيف من تلقاء نفسه عائدا من حيث أتى . . . حقا ، جوادا رائعا كان چوزيف. . .

حين تصل العربة إلى الحظيرة يتشدق فى بيير بمهارة چوزيف ، يقول :

- أنا لم ألمس العنان ، فچوزيف يعرف أين يتوقف ، ومن ثم يستطيع الأعمى أن يطلق له العنان ليسير بالعربة حيث يشاء !!

وظل بيير وجوزيف على تلك الحال سنين كثيرة ، وكبر بيير واكتسى شاربة بالبياض بينما لم يعد الجواد قادرا على رفع قائمتيه الأماميتين بقوة أو على رفع رأسه فى شموخ كما فى الماضى .

لم يلحظ چاك شيئا من ذلك إلى أن أقبل بيير صباح يوم يتوكأ على عصا . . صاح به چاك ضاحكا:

- هاى بيير ، هل أصابك النقرس ؟؟ . . .

متهربا أجاب بيير:

- ربما . . إن الإنسان يكبر وتتعب ساقاه !!

- يجمل بك أن تدرب الجواد على حمل اللبن وحده إلى المنازل فهو يفعل أى شىء لأجلك . . كما أنه يعرف أسر شارع الأمير إدوارد الأربعين معرفة تامة . . .

كان بيير لا يعرف القراءة والكتابة لذلك اعتاد طهاة شارع الأمير إدوارد حين يرون عربته مقبلة عبر الطريق الترابى أن يغنوا :

- أحضر ربع جالون آخر من اللبن صباح الغد يا بيير . . . .

- لديكم وليمة أذن . . .هه ؟؟

كانت التعليمات تقضى بأن يكتب الموزعون مطالب الناس فوق القوارير الفارغة وأن يحرروا الإيصالات كل أسبوع ويجمعوا الأموال . . . لكن چاك استثنى بيير من ذلك لأنه أحبه . . . المطلوب من بيير أن يصل فى الخامسة صباحا ، ويشد الجواد إلى العربة ، ثم يصعد إلى مقعده ويلوح إلى چاك قائلا :

- إلى اللقاء يا چاك . . .

لكن ذاكرة بيير كانت قوية ، فحين يعود على الحظيرة كان يسرع بإبلاغ چاك :

- احتاج منزل بيكون إلى ربع جالون من اللبن واشترى منزل لايمون كوبا من الآيس كريم . . . . . ويسرع چاك بتدوين ما يسمع فى دفتر صغير.

ذات يوم وفى وقت باكر من الصباح زار مدير الشركة الحظيرة ليتفقد توزيع اللبان فأشار چاك إلى بيير قائلا :

- انظر يا سيدى إلى ذلك الرجل كيف يحادث جواده . . . وكيف ينصت إليه ؟؟ كيف يدير رأسه إليه ؟؟ إننى أظن أن هناك سرا بين الاثنين . . .

إن بيير رجل طيب يا سيدى المدير لكنه طاعن فى السن ، ألا تكون جرأة منى أن اقترح أن يتقاعد بيير ويحصل على معاش معقول ؟؟

أجاب المدير وهو يضحك :

- لا مانع عندى .. لقد طالعت سجله الخاص وهو مشرف . . إنه يعمل منذ ثلاثين عاما ولم يتقدم أحد بشكوى ضده . . حسنا . . أخبره أن يرتاح من الغد وسيصله راتبه أول كل شهر غير منقوص. . .

لكن بيير رفض التقاعد ، فقد أفزعه أن يفارق العربة ويفارق چوزيف ، وقال لچاك :

- سأتقاعد حينما يتقاعد چوزيف!

ابتسم چاك في عطف ، إنه بدأ يفهم . هناك سر بين الاثنين . . ربما يستمد أحدهما القوة من الآخر ، فحين يجلس بيير في مقعده بعد أن يشد الجواد على العربة وتسير العربة كان الاثنان يبدوان غاية في الصحة والشباب . لكن حين ينتهى العمل اليومى فإن بيير يهبط من مقعده عجوزا يسير في عرج ظاهر . بينما يتدلى رأس الجواد في وهن وهو يسير إلى مرقده .

كان الصباح باردا فالشمس لم تطلع بعد ، والجليد الذى ظل يتساقط طوال الليل تلمع قطراته مثل ملايين الماسات التى رصت إلى جوار بعضها البعض .

كان چاك في انتظار العجوز :

- إن جوادك لم يستيقظ بعد يا بيير . . لقد شاخ . أنه يناهز الخامسة والعشرين وهو ما يماثل الخامسة والسبعين عندنا نحن البشر .

قال بيير في بطء :

- إننى في الخامسة والسبعين . . ولن أستطيع رؤية چوزيف بعد الآن . .

ملاطفا قال چاك :

- لكنك تستطيع أن تودعه . .إنه يرقد في سلام . .أذهب

وألق نظرة عليه . .

خطا بيير خطوة ، ثم استدار :

- كلا . . كلا . . لن تفهم يا چاك . . ربت چاك على ظهره فى رثاء وقال :

- سنأتى لك بجواد رائع مثله ، وفى غضون شهر سيعرف الطريق و . . .

أوقفته نظرة فى عينى بيير . . اعتاد العجوز منذ أمد بعيد أن يرتدى قبعة سميكة تنحدر حافتها لتغطى عينيه وتقيهما الغبار والريح . حدق چاك فى عينى بيير فرأى شيئا أفزعه . . نظرة عديمة الحياة كانت عينا بيير تعكسان الحزن الذى يكسو قلب بيير وروحه ، بدا لو أن قلبه وروحه قد ماتا حقا .

عاد يقول فى عطف:

- خذ راحة اليوم يا صديقى. . . .

لكن بيير لم يسمع . . كان قد سار بعيدا وهو يعرج .

لو أن أحدا كان بقرب بيير للاحظ أن الدموع تغمر خديه ولسمع تنهدات قلبه الحزين . . . .

وانطلقت صرخة تحذير من سائق شاحنة ضخمة كانت تندفع بسرعة . . . لكن بيير لم يسمع . . .

بعد دقائق ، قال سائق عربة الإسعاف :

- مات الرجل . . قتل فى الحال. . .

وانحنى الطبيب على الجثة :

- هل كان أعمى ؟؟ بالطبع كان أعمى . . انظروا إلى بياض عينيه المعتم . . . لقد عاش أعمى منذ خمس سنوات !!

- وعطف رأسه يسأل چاك :

- تقول أنه يعمل معك . .أفلم تعلم أنه كان أعمى ؟؟!!

قال چاك فى حزن :

- لا ، لا ، هذا سر لم يكن يعرفه سوى صديقه چوزيف . . لقد كان الأمر سرا بين الاثنين !!

* * *

أرميدا تحكى

قصة : إينيو فليانو

أرميدا جدة منذ سنوات . أحبوا أن يجلبوا السرور إلى نفسها فأرسلوا إليها حفيديها الصغيرين ليقضيا معها فترة ما بعد الظهر مرة فى الأسبوع .

كانت أرميدا لم تزل شابة ، لم تتعد الخمسين من العمر ، وتستمتع بحياتها إلى أبعد حد ؛ فتدخن الطباق القوى ، وتشرب الخمر المعتقة بدون صودا ، وتراقب الرجال مما يدفع بها إلى آفاق السعادة .

هى أرملة موقنة بأنها فى النهاية ستحوز زوجا ، بيد أن ذلك لا يشغل بالها ، وها هى تزجى وقت فراغها فى الفراش أو لعب البريدچ الذى تفوز فيه فى الغالب . مشكلة أرميدا أنها خلو من الخيال . إنها تعيش بلا تفكير فيما عسى يكون اليوم أو فى الغد أو فى الشهر القادم .

حياتها سلسلة حركات دون رابط . . .

تسير أرميدا فى رشاقة وخفة إلى متجر الطباق لتبتاع سيجارة واحدة ؛ فهى لا تثق بأنها يمكن أن تدخن لاحقا . حين كانت مجرد فتاة صغيرة حرمت من الخيال وطلبوا إليها يوما أن تكتب مقالا عن (كيف تقضين يوما فى الريف؟) فكتبت .

[غادرنا البيت فى الثامنة صباحا ، ووصلنا فى التاسعة ، وعدنا إلى البيت حوالى السابعة مساء . كل شىء تم على ما يرام والحمد لله . . .] .

كان من المستحيل حمل أرميدا على أن تصف أى شىء ،

لا السماء ولا الأزهار ، ولا الأصدقاء ، ولا الفلاحين المضيافين .

حين صارحوها : إن موضوعك هزيل يا أرميدا .

ابتسمت فى أسى ولم تعقب ؛ إنها تشعر بأنها مضطرة إلى التمسك بتلابيب فكرة معينة : لا تقرأ الكتب إلا بصعوبة ، فإذا حدث اكتفت بمطالعة الصفحات الأخيرة وحسب .

حين كانت ترتاد المسارح تتجنب النظر إلى خشبة المسرح ، فشئون غيرها لا تعنيها ، وفى السينما كانت تغط فى النوم أو تزعج المشاهدين بالتعليق على الجريدة السينمائية . خلال موسم الأوبرا الحافل ذهبت خصيصا إلى الأوبرا . لماذا ؟ لتحصى عدد الصفوف وعدد المقاعد فى كل صف ، وتضرب عدد المقاعد فى سعر التذكرة لتخرج فى النهاية بإجمالى إيراد الحفلة !

لقد أنعشت موسيقى بتهوفن وبرامز واسترافينسكى خيالها وأعجبها من باخ أنه يضاعف ألحانه .

مرت أرميدا بتجربة مثيرة ؛ فقد دعاها أحد معارفها إلى شقته - وكان (عزبًا) - ليفرّجها على بعض الصور ؛ كانت قد لقيته فى حفلة عامة ، والمؤسف أنه قد مرت سنة ولم تشاهد الصور بعد ! ها قد أقبل حفيداها لزيارتها ، وكانت قد استعدت للزيارة بتجهيز وليمة رائعة لأجلهما . المشكلة أنها لا تدرى ماذا تقول لهما طيلة فترة ما بعد الظهر . اكتشفت أن من بين واجباتها كجدة

أن تحكى لحفيديها حكاية خيالية . لكن ، وا أسفاه فهى لا تعرف كيف تحكى ، فالخيال يعوزها ، أى حكاية عليها أن تقدمها للصغيرين العزيزين ؟!

آه ، إنها تتذكر حكاية سمعتها وهى صغيرة . حكاية فتاة لطيفة تحمل الطعام لجدتها فى الغابة .

سألها حفيدها الأكبر : لماذا تعيش جدة البنت فى الغابة ؟!

لم تدر بما تجيبه لكنها وعدت بأن تبحث عن الإجابة فى القريب العاجل . واصلت الحكاية : كيف التقى الذئب بالبنت ودار بينهما الحديث ، فسألها حفيدها الأصغر : وهل الذئاب تتكلم ؟!

وأجابته وهى مندهشة من الهراء الذى تحكيه :

لا بالطبع . ولم تواصل الحكاية .

ذات يوم واتتها فكرة ! فتحت إحدى الصحف وراحت تقرأ خبرا فيها وهى تقول : سأحكى لكما الآن حكاية رجل قتل أفراد أسرته وهم نيام . عاش رجل اسمه بامبونى روچيرو فى الماضى وكان عمره ثمانية وأربعين عاما ومولود فى . . .

فرح الطفلان ؛ ففى هذه الحكاية كل شىء محدد ولا شىء غامض يثير البلبلة . حين وصفت أرميدا القاتل صفق الطفلان بحماس ؛ فقد شعرا أنهما جزء من الحكاية . بعد برهة سألاها إن كان بامبونى هذا قد أودع السجن ، فأعلنت :

ليس بعد ، إنهم يتعقبونه فإذا وجدوه أخذوه بالتأكيد إلى الزنزانة ليحققوا العدالة .

صاح الطفلان : إلينا بالمزيد ! نريد المزيد !

شعرت أرميدا بالزهو لذلك الانتصار ، قالت :

سوف نواصل الحديث وأحكى لكما عن السيدة التى وجدوها مقتولة و . . . . .

زاد انتباه الطفلين ، ولما انتهت الجدة ألحا عليها أن تعيدها من جديد . حين أقبلت مربية الحفيدين لتصحبهما إلى البيت أظهرا عنادا شديدا ولم يرغبا فى مفارقة الجدة ! فى الأسبوع التالى أصر الطفلان أن تشترى المربية صحيفة خشية أن تكون الجدة قد نسيت أن تبتاع واحدة . ولما وصلا ناولا الجدة الصحيفة مطوية ، وقالا بها :

هيا يا جدة ، احك لنا حكاية خيالية .

قالت وهى تفتح الصحيفة :

آه ، إنه يوم رائع وهناك الكثير من الحكايات و . . . .

ها هى أرميدا وقد أتقنت اللعبة . إنها الآن تطالع أخبار الحوادث فى كل الصحف ، فإن لم تجد بغيتها اخترعت حكاية ، وهى فخورة بما تصنع . وذات مرة سألت نفسها :

ولماذا لا أؤلف حكاية ؟

كتبت أرميدا العديد من الحكايات البديعة ، وزودت

الصحف بالقصص المثيرة .

وقالت لنفسها :

- على الإنسان ألا يقص على الأطفال الأكاذيب . . . ففى الواقع الكفاية !

* * *

حين غربت الشمس

قصة : هنرى لاوسون

جلس چاك على حافة فتحة المنجم ، قدمه فى الفراغ ، ويده فوق الحبل ، على أهبة الهبوط . وقف أخوه الأكبر ، توم ، إلى جانب من الفتحة ، بينما وقف ثالث الرجال إلى الجانب الآخر منها.

توقف چاك قبل النزول . تطلع إلى أخيه ، ورفع يده فجأة ، قال :

- لن تسمح للشمس بالغروب ، أتفعل ؟

لكن توم ظل ممسكا بمقبض الرافعة ، ولم يعقّب .

صاح چاك :

- أنزلانى .

فدلياه إلى القاع . ترك توم معوله فى صمت ، وعاد إلى الخيمة . كان الطبق الصاج وبقية الطعام بانتظاره فوق الطاولة الخشبية الخشنة . الشاى جاهز ، وكذلك البطاطس ، جلس إلى المائدة ، بيد أنه لم يقدر على الأكل . لقد نشب شجار فى الصباح بينه وچاك ، وذلك بسبب مزاج أخيه النارى وتسرعه . حقا ، أدرك غلطته وسارع بالاعتذار . عاتب توم نفسه ، ودار فى انفعال ، وحاول أن يدخن علّه يجلب الراحة إلى نفسه ، لكنه لم يستطع أن يبعد كلمات أخيه الأخيرة عن أذنيه :

« لن تسمح للشمس بالغروب يا توم ، أتفعل ؟ » .

ها هو توم يحلق فى قرص الشمس . الغروب سيحلّ بعد أقل من ساعتين .

تذكر كلمات الشاعر القديم ، لا يهم من يكون ، لكن الكلمات تعاوده من جديد :

« لا تدع الشمس تغيب وأنت غضبان . لا تدعها تغيب وأنت غضبان » .

هى نصيحة بليغة لأولئك السريعى الهياج ، والذين هم فى الغالب شديدو الحساسية إن هم أذنوا للشمس بأن تغيب وهم غاضبون ، فإنهم سيبيتون فى كمد .

تأهب توم للعودة إلى المنجم . راجع نفسه وهو جالس يدخن غليونه ليشعر بالأمان . إنه يفهم أخاه حق الفهم ، أما أخوه فلا يفهمه . هنا لبّ المشكلة . أيقن توم أن چاك سيعانى من أثر الشجار فتهبط حماسته للعمل . لربما كان الآن يعانى وهو بأسفل الممر الحالك العطن .

استقر رأى توم على معاودة الهبوط إلى المنجم . لن يعدم الحيلة ليفعل . فجأة سمع زميله يصيح من قمة الفتحة :

- توم ، توم . . . أسرع بالله عليك .

وثب قلب توم بقوة بين الضلوع . عدا كالريح إلى الفتحة . تدافع الحفارون جميعا إلى المكان حين وصلتهم الصيحة . بمجرد أن نظروا أدركوا ما حدث . من الجنون أن يتدلى الحبل بأحدهم من الرافعة من غير وضع دعامات خشبية لتأمين جدران المنجم ؛ فقد تتداعى جوانب المنجم فى أية لحظة .

قفز توم إلى الأمام وهو يصرخ من خلال الفتحة :

- هلم إلى المدخل يا چاك . أسرع إلى المدخل . إلى نهاية الممر . انفد بجلدك .

ثم التفت إلى الحفارين زاعقا : إلىّ بالعِدد والآلات لننتزعه خارجا .

بعد دقائق كانوا إلى جنب عند الفتحة . هبطوا إلى الممر القديم . أدرك توم أنهم قد اقتربوا كثيرا من الجانب الآخر من المنجم . ركع فى الوحل العطن أمام المدخل وهو يعمل كالمجنون . رفض أن يفسح المكان لأى زميل . بعد ستة أو ثمانية أقدام سيصلون إلى چاك . الهواء سوف ينفد من المكان وشيكا . هذا إن لم ينقضّ السقف ويُدْفَنُ أخوه تحته .

انثال عرقه من جبهته . أصبح تنفسه نشيجًا وبكاءً ثقيلين . يواصل بضربات معوله فى قوة ووحشية .

اتسع الطريق . توقف لحظة يتصنت . سمع فى جلاء ما يشبه طرقات حجر . چاك فى أمان .

واصل توم عمله إلى أن تساقط الوحل والرماد ، وأسفرا عن فجوة بحجم الطبق فى المدخل المواجه له .

وأتاه صوت مبحوح فى الجانب الآخر :

- حمدا لله .

- أأنت بخير يا چاك ؟

– أجل يا توم . لقد وصلت فى اللحظة المناسبة . لا يوجد موطئ لقدمىّ ، كما أن تنفّسى صار صعبا .

كان مكتوما فوق الرماد . زلقت قدم توم فهوى إلى الخلف وصرخ فى ألم بالغ :

– يا إلهى ! ظهرى .

ثم ناضل ليقف على قدميه ، لكنه سقط على يده إلى الأمام . راح يزحف مقتربا من الفجوة وهو يصرخ :

– چاك ، چاك !

– حسن ، ما الأمر يا توم ؟

– إن قلبى قد تحطم يا چاك . مدًّ يدك بسرعة ! إن الشمس موشكة على الرحيل !

من خلال الفجوة امتدت يد چاك . شدّ عليها توم بقوة ثم سقط على وجهه فى الوحل العطن .

أفلح الحفارون فى إخراجه من الممر ؛ فالسقف كان منخفضا للغاية ، فاضطروا للانحناء . ربطوه فى الحبل ورفعوه .

ما لبث چاك بدوره أن فرّ من جحيم المنجم وعاد إلى السطح . تمدّد فوق العشب إلى جوار جثة أخيه الأكبر . تجمع حولهما الحفارون وقد خلعوا قبعاتهم ، وغربت الشمس !

عازف الكمان

قصة : موريس ديزومبريه

ظلَّ زايرى بوزيه يسعل لسنوات طوال بصورة شنيعة . كل سعلة تكاد تخرج الروح إلى بارئها من جسده المهزول . كان من يسمعون سعلاته الجافة التى تهز صدره وتدمع عينيه يهتفون مشفقين :

– يا للمسكين ، إنه لن يعمّر طويلا .

وللحق ، فإنه منذ زمن طويل والرجل محسوب فى عداد الأموات .

فى الصيف كان يمارس طلاء المنازل . وتراه فى الصباح خارجا بدلوه وفرشاته ، ولا يكف عن السعال طيلة الوقت .

والكل يرددون فى ألم وحسرة :

– يا له من مسكين ؛ إذ يضطر إلى العمل الشاق وصحته تذوى ! الجير يأكل رئتيه ، لا ، لن يعمر طويلا .

أو يقولون :

– كم هو شجاع ذلك البائس بوزيه ! إن أى شىء لن يفلح فى إقناعه بدخول المستشفى ، فهو مصرّ على العمل ، والسم يزحف فى دمه . بالتأكيد لن يعمّر طويلا .

ها هو بوزيه ماض فى طلاء المنازل بالجير . على السلم بوجهه الشاحب كمريلته البيضاء يسعل . إن الجدران تسعد وهى ترتوى بالجير ، والكل من حوله يحوطه بالحنان ، ويغرم به ، ولأن ما يطلبه نظير عمله نزر يسير فقد كثر الطلب عليه حتى من

ساكنى الألواح الفقيرة الذين خصّوه بقطع اللحم النادرة الوجود فى حياتهم . . .

يقولون :

– أى مسكين بوزيه هذا ! إنه بحاجة إلى ما يقيم صلبه ، إنه يذوى ، ولن يعمّر طويلا .

فى المزارع حظى زايرى بملء فيه من الطعام والنبيذ ولم يزل يحيا . فى أيام الآحاد يهوى بوزيه العزف على الكمان ؛ فيرقص الشبان من الجنسين على أنغامه وهو يسعل ويسعل .

وتنطلق الآهات والتوجعات والتعليقات :

– يا للمسكين بوزيه ! يظل طيلة المساء فى جلسته بالحديقة يسعل ويعانى ، وليس فى دمه قوة ، إن قلوبنا لتتمزق ونحن نراه يرتعد ويسعل . . . آه . . . أكيد أنه لن يعمّر طويلا .

فى كل مكان كان بوزيه يحظى بأجود نبيذ وأشهى فطائر . . وهذا أقل ما يجب نحو ذلك المصرور الذى لن يعمّر طويلا . لكم أحبه الناس وهو يعزف ، فلا أحد غيره بإمكانه أن يُرَقِّص الناس حتى أولئك الضخام بطيئ الحركة من المبتدئين . .

أسرع إليه متعهدو الحفلات يبرمون العقود من بداية العام ، وأسرفوا فى تدليله ، وخصّصوا له برميلاً بيده فى كل حفلة رقص .

وبوزيه لا يرفض أى شىء . يشرب ويأكل ملء فيه على مهل . فيم العجلة وهو لن يعمّر طويلا ؟

يقول الناس :

- إن السبب هو علته المزمنة ؛ فهو فى حاجة إلى الطعام ذلك المسكين ! أجل ، لن يعمّر طويلا .

يذهب بوزيه إلى منازل الجوار الكبيرة ليعزف ويرقص الشبان فى الحفلات . فى كل مكان يستقبلونه كصديق .

فى الشتاء ، حين تتوقف أعمال الطلاء ، يعمل بوزيه كإسكاف ، ويهرع الكل إليه يطلبون لأنفسهم الشباشب ولأطفالهم الأحذية ، وهم يقولون :

- يا للمسكين ! لابد أن يعيش ، وعلينا أن نكفل له العمل ؛ فهو لن يعمّر طويلا .

العجيب أن هذا الذى لن يعمّر طويلا قد دفن زوجتين له ؛

تزوجته الأولى بدافع الشفقة وهى تقول : - فلتكن مغامرة ، وهو لن يعمّر طويلا ! ماتت بالحمى .

أما الثانية فتزوجته طمعا فى ماله ، ولم يكن كثيرا !

فكرت : إنه مشروع رائع ؛ فأنا لا أملك شيئا ، وبما أنه لن يعمّر طويلا فإننى سأرثه ، وبعدها أتزوج من أشاء . وماتت .

تنتشر شائعة عاصفة : زايرى مقبل على الزواج للمرة الثالثة ؛ فتاة فى العشرين . ويمضى مروّجو الشائعات يقولون : أسمعتم الحكاية ! إنه لن يعمّر طويلا على أية حال . الفتاة طمعانة فى كوخه وبستانه ، يا للعار . . إنها تعرف أنه لن يعمر طويلا !

لبوزيه كوخ وقطعة أرض تحوطها أملاك الإخوة بليرو ، أغنى أغنياء القرية . أحدهم عمدة القرية ، والثانى مزارع ، والثالث أمين صندوق الجمعية الخيرية ؛ كان الثلاثة عزّابا أقوياء البنية ، يبدون كمن سيحيا لمائة عام .

حالف الحظ الإخوة ؛ فأطيانهم فى ازدياد من عام إلى عام . . ويردد القرويون أن الإخوة يملكون نصف أراضى القرية . إن مزارعهم وحقولهم وبساتينهم وحدائقهم أروع المناطق . لقد سعى الإخوة إلى الاستيلاء على أرض بوزيه وكوخه ليقيموا عليهما مبنى ضخمًا . فى البداية قالوا لبعضهم البعض :

– إنه لن يعمر طويلا ، وسنحصل على ممتلكاته بغير مقابل بعد موته .

لكنهم لم يلبثوا أن سارعوا إلى العمل ؛ فلربما يأتى ورثة للرجل لا يعرفونهم ويطالبونهم بسعر خيالى .

استنفد الإخوة الحيل ، فلجأوا إلى مفاوضة بوزيه . لكنه هز رأسه بوجهه الشاحب وقال وسط سعاله المتقطع :

– لكم أن تطالبونى بأى شىء أيها السادة عدا منزل الأجداد ؛ أنتم تعلمون أننى لن أعمر طويلا . صبرا فلن أذهب إلى أى مكان ولم يبق لى من العمر إلا أقلّه . سوف أموت فى الكوخ الذى فيه ولدت ومات فيه الأجداد .

لقد واجه الرجل ضغوط جيرانه بعزيمة لا تلين ، ولما فرغ صبرهم مالوا إلى الوعيد . استغنوا عنه كعازف واستعانوا بغيره فى احتفال القرية . أحس بوزيه بالطعنة ، لكن أهالى القرية تضامنوا وإياه وقاطعوا الاحتفال وهاجموا العمدة قائلين : ما بالكم تعاملون المسكين على هذا النحو وهو لن يعمر طويلا ؟ إنكم بلا قلب بالتأكيد ! اضطر الإخوة إلى موادعة الرجل ، وبالغوا فى رفع السعر ، لكن زايرى رفض وهو يقول : بودى أن أموت فى كوخ أبى .

قال له أمين الصندوق مقترحا :

- بعنا إياه وسنعطيك حق الانتفاع مدى حياتك .

صادفت الفكرة هوى فى نفس بوزيه ، وراح يجادل الإخوة وسرعان ما كتبوا عقدا . سوف يدفعون لبوزيه إيجار الكوخ طيلة حياته .

قال القرويون : هؤلاء الإخوة ثعالب ؛ فقد اشتروا الكوخ بثمن بخس ، والرجل لن يعمر طويلا .

راح بوزيه يتلقى الإيجار ، والإخوة يظنون أن الرجل هالك لا محالة !

ومات العمدة . . . فاستمر الأخوان فى الدفع !!

ثم مات المزارع ، وبوزيه لا يزال يتلقى الإيجار حتى لقد حصل على ما يقرب من ثلاثة أمثال قيمة الكوخ .

كان أمين الصندوق ، آخر الإخوة الأحياء ، يتحرق شوقا لخنق بوزيه ؛ إنه يسدّد الإيجار ، وأصابعه لم تطاوعه ، ولا تكف عن الارتعاد .

ها هو يواجه بوزيه بقوله : آه . . ألم تمت بعد ؟

فيجيبه بوزيه وهو يسعل : كيف تجرؤ على أن تحدث مسكينا مثلى بهذا الشكل وأنا لن أعمّر طويلا ؟

لقد دفن بوزيه ثالث الإخوة ، ثم مات قرير العين بعد أن عمّر فوق المائة عام !

* * *

امرأة . . !

قصة : أدريان مورين

كانت أمى من البغايا العتيقات : تضع طفلاً مجهول الأب كل سنة ، ومن ثم فإن جميع الأجناس تدخل فى صلب أسرتنا . حتى الأطفال السمر الذين يحملون ملامح أمى يمكن أن يلقوا عليها وحدها التبعة ؛ فأبى رجل ريفى ولج عتبة دارنا زبونًا ثم ألقى عصا ترحاله عند أمى ومكث . محتمل أن يكون أخى الأكبر هو ولده مثلى . كان مولده فى تلك الأيام التى بكت فترة الشقاء . أيام كانت أمى تخرج - كمثيلاتها من النساء الفقيرات - لتغسل الثياب أو لتبيع الفاكهة أو التبغ فى ظل الأشجار .

ثم فجأة تحولت الأم إلى طريق العز ؛ فأغرمت بالهواء الطلق وصحبة الرجال . كانت تخرج كل مساء ، بعد أن تفرغ من أعمالها المنزلية ومن حمل صغارها إلى الفراش ، فى أبهى ثيابها ، لوردة فى شعرها ، الإبتسامة العريضة على شفتيها ، تتبختر إلى الميناء حيث ترسو السفن والبحارة يتسكعون على الرصيف ، تشتعل أجسادهم بالرغبة . لاتلبث إلا لحظات تعود بعدها إلى الدار بصحبة رجل فى ذراعها . تضحك وتتحدث كأنها تعرف رفيقها منذ أعوام . فى بعض الأحيان حين كانت السماء تمطر تدهشنا الأم بأن تشير إلينا من طرف خفى أن نخرج ، هذا على حين ينشغل البحار بإدارة رأسه بعيدًا من الحرج . .

نجلس تحت الأشجار السامقة حيث يتناهى إلينا صوتها

تحادث رفيقها فى الداخل وهما عاريان . كانت تدابعه بكل الأسماع التى تدلّلنا بها فى النهار . صوتها متملّق ، وقبلاتها تدوى فى جرس حلو . نوافذ غرفة دارنا الوحيدة مسدلة بستائر من الغاب التى تسمح للضوء بالنفاذ فى خيوط رفيعة .

حين تفرغ الأم من الأمر ، وبعد أن يذهب رفيقها إلى حال سبيله تعمد إلى فتح النوافذ وتطل علينا ضاحكة وجسدها عار إلى الصدر . نراها رغم ضوء المصباح الغازى الضئيل . تلك الإشارة لنا لندخل وترينا قطعة العملة التى حصلت عليها فنسارع نحن أطفالها إلى الإعجاب بصورة الملك الأجنبى أو الملكة المرسومة عليها . .

وبينما نتناوب تداول القطعة بيننا تنشغل هى بإصلاح زينتها لتخرج من جديد ، والوردة فى شعرها والبسمة العريضة على شفتيها . . بينما نمضى نحن فى تشمّم عبيرها المخلوط بالدخان الذى تخلف عن سيجار كان يدخنه البحار واللذين عبق بهما المكان . . !

* * *

كانت أمى فى خريف شبابها ، ذات صدر ممتلئ ناهد ، وكتفين مستديرين مليحين ، وفم رقيق . .

ربما امتد بها عملها إلى الهزيع الأخير من الليل فنضطر إلى مبارحة الدار والبقاء فى العراء ، فدارنا لاتتسع لغير غرفة يتيمة

لاتتسع بالطبع لنا وللزبون ، وعلينا أن نراعى أن يأخذ الزبون راحته . . . !

فى الخارج يلسعنا البرد ويُطَيِّر النوم من عيوننا النعسانة ، أضف إلى ذلك رعبنا من حفيف أوراق الشجر وزمجرة البحر . .

أذكر بالتحديد السماء بالليل والنجوم تسطع فوق قمم الأشجار لكم كانت دهشتى من أن تصل نظرتى إلى كل تلك المسافة البعيدة . . !

هاهو أبى يجلس وعلى حجره طفلان نائمان وهو يدخن سيجارة ، بينما يتكوم بقية الأطفال على بعضهم البعض استجلابًا للدفء . أخيرًا يحملنا الأبوات إلى الداخل ويُرصّاننا إلى جوار بعضنا . ربما صحوت ونظرت فإذا بالأبوين يتعشيان أرزا وقطعة دجاج باردة فى صمت . بعدها يرقدان على الحصيرة ، ويظفر أبى بضحكة أو تنهيدة ، وهما بالطبع من حقه الشرعى . .

بين الحين والحين تعود الأم إلى دارنا بشاب أبيض بحار ، يرتدى حذاء جلديًا جديدًا ، وفى منطقته خنجر ، تتحفز مشاعرى وترسم مخيلتى الملامح للأم وهى عارية ، صورتها فى مخيلتى غامضة . . إنها غريبة عن تلك المرأة الفاجرة التى أسمعها تقول :

– هل أمك تشبهنى . . ؟ ألها ثديان رائعان ؟!!

ثم يرتفع صوتها يصحبه صوت الشاب . بعد برهة يخرج

البحار وفى فمه سيجارة ، وقطعة الفضة التى خلّفها واره تنتقل من يد إلى يد وهى تشع دفئا . . !

تقول أمى إنه لايزيد عن الرابعة عشرة ، وتؤكد ضاحكة أنه يعشق قسا يعمل بالتبشير .

ذات مرة جلبت الأم عجوزا راح يتفحصنا ، ثم قدّم للأب سيجارة . لقد مكث العجوز طويلاً . كان بحاجة إلى ذلك الوقت الطويل ليخلع ثيابه . كنت أسمعه يتأوه أذهبت المرأة عنه متاعبه بكلمات حماسية مشجِّعة . إن لم تقدر على منح المتعة لفشلت ولقتلها اليأس . كانت لها طبيعة سمحة وصبر عجيب على الرجال . أصدر العجوز سعلة طويلة تعكس رضاءه . أصبح ودودًا . لطيفًا وطبيعيا . .

شعرت حياله بإشفاق كما لو أننا نشلناه . لم أكف مطلقا عن التحديق فى الزبائن وهم يخطون فى الممر تحت الأشجار المعتمة باتجاه المدينة والسفن . إن أهم مايشغلهم أن يبرهنوا لأنفسهم أنهم مايزالون أحياء . . !

لكن لك شئ كان يشير إلى بؤسهم : كعوب أحذيتهم ، لطع العرق على قمصانهم ، أظافرهم المتآكلة ، ولون بشرتهم الشاحب .

حين أقبض على فضتهم فى يدى أشعر برغبة لاتقاوم فى أن أحذو حذوهم برغم أنهم لايحصلون من الأم على شئ ذى قمة . . .

كانت الأم تتخلص من كل مايذكرها بهم بخرقة مبتلة تدعك بها إبطيها ومابين فخذيها . تقف متباعدة الساقين وهى ضخمة ، تمضى فى مهمتها وثدياها المستديران المليئان يترجاجان . .

إنها رأس الأسرة ؛ فكلمتها نافذة على الجميع وعملها موضع تقدير . كان الأب يحاول بين الفينة والفينة تأكيد ذاته . حين يذهب الإثنان إلى البلدة القريبة بغرض الشراء ، يحصبهما أكبر الأولاد ، كان الأب هو الذى يدفع الحساب ويعقد الصفقات . هنا يتحول - ذلك الصموت - إلى الثرثرة ، بينما تجنح الأم إلى الصمت . . إنها تحدق فى الرجال فى الشوارع بعينى الصقر الباحث عن فريسة . ربما يعود ذلك إلى شعورها بأنه مامن رجل يستطيع إغواءها مما يدفعها إلى الفرار معه . .

كانت وقت عملها المرذول تفيض رقة وعزوبة ، أما فيما عدا ذلك فهى طفلة ضخمة غبيه ، وامرأة جاهلة لاتعرف القراءة ولا الكتابة . .

ذات يوم جلب الوالد إلى الدار ماكينة خياطة عتيقة من السوق . لم تعرف الأم كيف تشغّلها فوضعتها فوق خزانة قديمة ربما لتبرز ثراء الأسرة ويسارها .

لم نستعمل الماكينة مطلقا ؛ فقد حرص الأبوان على ابتياع لوازمنا من الثياب من البلدة . .

كانت شهور الحمل الأخيرة للأم أكثر الأوقات صعوبة ،

فهى مضطرة للذهاب للعمل فى أحد المتاجر المختصة بتعبئة البضائع يصحبها أبى . .

لقد تقلّص الزبائن بالطبع ولم يبق سوى أولئك الذين يطمحون إلى نزوة محدودة مع إمرأة حامل .

وتبدلت العملة الفضية إلى عملة نحاسية . . . لكن ميلاد الطفل الجديد سيعيد الترابط إلى أفراد الأسرة .

وذات يوم وقع المحظور . . !

اندفعت الشرطة الأجنبية إلى دارنا . رجال فى زى أبيض ينضح بالعرق ، على رءوسهم خوذات واقية . منعوا أمى من الخروج . وبعد أيام قليلة صحبوها وأبى وأصغر طفلين إلى المستشفى ، أما نحن فأودعونا دار الأيتام الملحقة بالكنيسة . . !

ولم نلتق بعدها بالأبوين ؛ فسرعان مالقيا حتفهما فى المستشفى ودفنا فى مقابر الفقراء خارج البلدة . .

سمحوا لنا بالطبع بالذهاب إلى القبور ، فى باكورة الصباح حين يكون الطقس باردًا ونحن نرتدى أرديه بيضاء . .

أخبرونا أن ثمة سماء تسكنها الملائكة هى مستقر الأبرار ، وأن السود وسمر البشرة يصبحون بيض البشرة . . .

لا ، إننى أكره بيض البشرة رغم إجبارى فى سن صغيرة على دخول حجرات نوم النساء البيض الخليعات . .

لم أقدر على نسيان عرى الأم بعد أن عرفت أنه خطيئة . . !

حين كبرت وأصبحت حرًا انطلقت إلى الميناء فرأيت البحارة تلفظهم السفن كالعادة . هاهم العجائز لايكفون عن السعال ، والشبان بأحذيتهم الجلدية وخناجرهم تتدلى من أحزمتهم ، والسجائر فى أفواههم . أستطيع أن أشم رائحة تبغ فرجينيا . أكره أولئك البحارة لا لأنهم بيض البشرة ، بل لأنهم ذاهبون إلى النسوة الواقفات بانتظارهم آخر الرصيف ، نساء يافعات ، الزهور فى شعورهن ، والبسمة العريضة على شفاههن . . !

* * *

المترجم

محمد عبد الحميد (محمد رجب) .

- قاص وروائى وناقد ومترجم من مواليد ١٩٤٦

- تخرج فى كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٩

- يكتب فى الصحف والدوريات الثقافية فى مصر والدول العربية .

- من أعماله المنشورة (دار الميبكان - ٢٠٠٢) .

- الموسوعة التراثية للشباب .

- التاريخ الإسلامى للشباب .

- قصص من القرآن . بالإضافة إلى عدد كبير من الترجمات من بينها « دكتور زيڤاجو » و « رودنى ستون » وغيرها .

الفهرس

القصة		الصفحة
ناس حسنو النوايا	بن بوڤا	5
الزهرة	چون شتاينبك	17
ممنوع اللمس	روبرت بلوخ	35
مكان نظيف حسن الإضاءة	إرنست هيمنجواى	45
نهاية الحفل	جراهام جرين	57
الدوقة والجواهرى	ڤرچينيا وولف	73
العم چيم	مارتن ريكس	85
مقبرة على بابا	ڤيسنت بلاسكو إيبانيز	95
التعبير	جوزيه فرانسيز	101
البنات	مرينال باندى	105
مدرس خاص جديد	شاشى بارجافا	119
قصاصة	تشيكوف	129
أجمة من أشجار اللِّيلاك	ألكساندر كوبرين	135
المنزل	اندريه موروا	145
بيت الكلب الأسود	ساتوهارو	151
فنجان شاى	آفونسو باتيلهو	159
فى سهول الله	نيكاتى كومالى	171
سر بين اثنين	كوينتان رينولدز	179
أرميدا تحكى	إينيوفليانو	189
حين غربت الشمس	هنرى لاوسون	197
عازف الكمان	موريس ديزومبريه	203
امرأة	أدريان مورين	211

تصويب واعتذار

نشر فى فهرس العدد الماضى من السلسلة (خمس مسرحيات نو حديثة) - بالخطأ - أن مسرحية السيدة أوى هى المسرحية الوحيدة التى ترجمها الأستاذ عبد الغنى داود ، والصحيح أن مسرحيات الكتاب كلها ترجمة مشتركة مع الأستاذ أحمد عبد الفتاح بالإضافة إلى مسرحية السيدة أوى التى ترجمها الأستاذ عبد الغنى داود بمفردة .

المحرر

صدر من آفاق عالمية

١ - تنبؤات

شعر : بيفر / زجراجن

ترجمة : د. يسرى خميس

يوليو ٢٠٠١

٢ - اعتراف منتصف الليل

رواية : چورج ديهامل

تعريب : د. شكرى عياد

أغسطس ٢٠٠١

٣ - الزيتونة والسنديانة

نصوص شعرية مترجمة ودراسة عن الشاعر :

عادل قرشولى

د. عبد الغفار مكاوى

سبتمبر ٢٠٠١

٤ - بلبل واحد لا يصنع ربيعا
مختارات من القصة العالمية
ترجمة د. حمادة إبراهيم
أكتوبر ٢٠٠١

٥ - شراك القدر
مسرحية : أنطونيو بوريو بييخو
ترجمة : د. طلعت شاهين
نوفمبر ٢٠٠١

٦ - الأرض الخراب وقصائد أخرى
شعر : ت . س . إليوت
ترجمة : د. لويس عوض
تقديم : د. ماهر شفيق فريد
ديسمبر ٢٠٠١

٧ - فى البحث عن ڤاليرى
تأليف : ليج مايكلز
ترجمة : مى رفعت سلطان
يناير ٢٠٠٢

٨ - زديج أو القضاء (قصة شرقية)
تأليف : ڤولتير
ترجمة : د. طه حسين
تقديم : نبيل فرج
فبراير ٢٠٠٢

٩ - قصائد امرأة سوداء بدينة
شعر : جريس نيكولز
ترجمة : نانسى سمير
مارس ٢٠٠٢

١٠ - عاشق من مونت كارلو (مختارات قصصية)
تعريب وتقديم : عبد القادر حميدة
إبريل ٢٠٠٢

١١ - الحب والأسى (مسرحية صينية)
تأليف : (باى فنجكس)
ترجمة وتقديم : سمير عبد ربه
مايو ٢٠٠٢

١٢ - ذلك العالم المدهش
(حوارات مع كتاب عالميين)
ترجمة وتقديم : حسين عيد
يونيو ٢٠٠٢

١٣ - شعر السبعينيات فى إسبانيا (دراسة ومختارات مترجمة)
د. خامد أبو أحمد
يوليو ٢٠٠٢

١٤ - المسرح الهندى (التراث والتواصل والتغير)
تأليف : د. نيميتشاندا جين
ترجمة : د. مصطفى يوسف منصور
مراجعة : أ.د. منى أبو سنة
أغسطس ٢٠٠٢

١٥ - مختارات من روائع المسرح العالمى
ترجمة وتقديم د. نعيم عطية
سبتمبر ٢٠٠٢

١٦ - الأغنية الأخيرة
مختارات من الشعر الصينى
تأليف : تشانج شيانج - هو
ترجمة : زكريا محمد
أكتوبر ٢٠٠٢

١٧ - أفضل صديقاتى
ترجمة : مفــرح كريم
نوفمبر ٢٠٠٢

١٨ - الطاغية
ترجمة د. جمال عبد الناصر
ديسمبر ٢٠٠٢

١٩ - يقظة امرأة
تأليف : كيت شوبان
ترجمة : د. أحمد الشيمى
يناير ٢٠٠٣

٢٠ - مختارات من حكايات الشعوب
ترجمة وتقديم : رأفت الدويرى
فبراير ٢٠٠٣

٢١ - خمس مسرحيات نو حديثة
تأليف : يوكيو ميشيما
ترجمة : عبد الغنى داود
: أحمد عبد الفتاح
مارس ٢٠٠٣

آفاق
عالمية

سر بين اثنين

مختارات من القصة القصيرة العالمية

مجموعة قصصية لكتاب من العالم ينتظمها خيط واحد هو الهم الإجتماعى ويتمثل فيها عنصر التكثيف من خلال لغة سهلة موحية سريعة الإيقاع .

Bibliotheca Alexandrina
0678718
81
1

الثمن: جنيهان
الشركة الدولية للطباعة